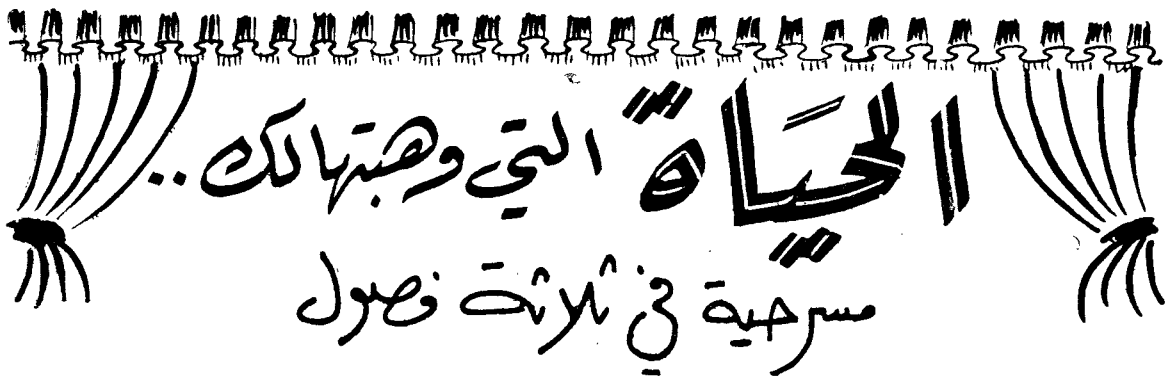

بقلم لويجي بيراندللو

ترجمة رفيق راتب الصبان

الفصل الاول

غرفة باردة شبة عارية من دار آنا لونا المنعزلة ، مقعد وخزانة ومكتب صغير يحيطه شيء من الاثاث القديم يثير في نفس الناظر اليه شعورا عميقا بالسلام . بل ان النور الوحيد الذي ينفذ من نافذة عالية من الغرفة يوحي بانه شعاع من عالم بعيد . بابان . عندما ترفع الستارة نجد بعضا من النسوة قد تجمعن امام الباب الذي يبدو ان ابن الدونا آنا يحتضر وراءه . بعض من النسوة قد لزمن الوقوف .. بينما ركع القسم الاخر منهن على الارض يصلي . الكل ينشدن بصوت خافت نشيد الموت . تتخلل النشيد من حين الى آخر تغييرات في وضع النسوة.. فمن كانت تركع تعود الى الوقوف .. بينما تركع من كانت واقفة .

الفئة الراكعة : (متمتمة) ايتها العذراء
يا ام المسيح
يا امنا المقدسة

(تشير الفئة الواقفة الى الفئة الراكعة بالصمت .. تتبادل النسوة نظرات من الدهشة فيها شيء من العذاب ..)

امرأة : استحلفك بحق قديسيك ان تساعده ايها الرب الرحيم

امرأة ثانية : ملائكة انسماء كوني رئيفة به

امرأة ثالثة : ليستقبله المسيح الذي دعاه اليه

امرأة رابعة : لتحمله النفوس الآمنة المطمئنة الى جنات الخلد

الاولى : ارحمنا ايها الرب

الثانية : ارحمنا ايها المسيح

امرأة خامسة : هبه الراحة الابدية . أي امنا الرحيمة وامنحيه الضياء الخالد

الكل بصوت واحد : لتمت بسلام

(تركع النساء جميعا مصليات بصوت خفيض)

(يفتح باب الغرفة وتخرج منه دونا فيورينا سيجني وعلى وجهها امارات الالم مختلطة بشيء من الدهشة يصاحبها الراهب دون جيورجي)

الدونا فيورينا سيدة في الخمسين من عمرها .. تبدو ملامح الهرم على وجهها وفي هندامها المتانق دون تكلف .

يبدو انها تخضع في اختيار ثيابها لنزوات اولادها الذين يعيشون في المدينة ... والذين يفرضون سلطتهم دون حدود على امهم المسكينة .

اما الراهب دون جيورجي فهو راهب قرية بكل ما في الكلمة من معنى ، ضخم الجثة ، بسيط الملامح على شفتيه دوما بوادر جملة عليه ان يتفوه بها مهما كان نوع الحديث الموجه اليه .. ودون ان يفهم تماما المقصود منها .

ولكن اذا تعمقنا في فهم شخصيته فاننا سنجده رجلا منطقي التفكير بامكانه توجيه ملاحظات عميقة تشعر بمدى ثقافته وبانه ليس ابله كما يخال لاول وهلة)

دون جيورجي : (للنسوة) اذهبن الآن يا بنياتي .. ولكن اقمن الصلاة الاخيرة على الروح التي دعاها الله اليه قبل انصرافكن

(تنحني النسوة امامه اولا .. ثم امام الدونا فيورينا .. وينسحبن من الباب المقابل

السيدة فيورينا والراهب لا زالا غارقين في فكر عميق

هي مفكرة بكارثة شقيقتها واسامة ، اما هو فمتأرجح بين ثورة يريد ان يكتمها وعزاء لا يدري كيف يعبر عنه .

بعد انتظار قليل .. تسقط الدونا فيورينا على مقعد امامها دافنة وجهها بكلتا يديها بينما يربت الراهب على كتفيها ثم يرفع يديه الى السماء كمن اسلم امره لربه)

دونا فيورينا : (ما زال وجهها بين يديها)انها ستنتهي الى الجنون (ترفع يدها وتنظر الى الراهب) هل لحظت عينيها؟ وصوتها الذي امرتنا به بالخروج ..

دون جيورجي : اخطأت الحكم .. فتفكيرها لا زال على اتزانه .. وانا اخشى عليها يا سيدتي العزيزة من خطر آخر ... اخشى عليها ان تيأس من رحمة الرب وان ...

دون فيورينا : (قلقة) وما عساها تفعل وحدها في هذه الغرفة الان ؟

دون جيورجي : (معزيا) انها ليست وحيدة .. فايلزابيت معها .. وهي امرأة شديدة الحكمة

دونا فيورينا : (فجأة) لو سمعت ما قالته ليلة البارحة .. (تقطع جملتها عندما يفتح باب غرفة الميت .. وتخرج منه ايلزابيت الخادمة) ايلزابيت .. (بقلق بالغ) ماذا تفعل ؟

ايلزابيت : (بصوت لا رقة فيه) لا شيء .. انها تنظر اليه

دونا فيورينا : وهل هي تبكي ؟

ايلزابيت : لا .. انها تنظر اليه

دونا فيورينا : لو امكنها البكاء .. لكان في ذلك عزاء لها ... رباه ... دعها تبكي

ايلزابيت : (تقترب منها ـ وبنبرة لهجتها السابقة ونظرتها الزائغة تحدثها هامسة) انها تقول انه لا زال هناك .. (تشير

بيديها ان بعيدا جدا)

دون جيورجي : من هو ؟

(تشير ايلزابيت برأسها ان نعم)

دون جيورجي : تقول انه لا زال هناك ؟؟ أين ؟

ايلزابيت : انها تحدث نفسها ، ذارعة ارجاء الحجرة

فيورينا : ألا يمكننا مساعدتها بشيء يا ربي ؟؟

ايلزابيت : انها تبعث الرهبة لشدة لفتها بالذي تقوله ...

فيورينا : ولكن ماذا قالت ايضا ؟.

ايلزابيت : انه قد ذهب وسرعان ما سيعود .

فيورينا : سيعود ؟

ايلزابيت : نعم تقول انه سيعود وبثقة لا ريب فيها .

دون جيورجي : اما عن ذهابه فأكيد ... ولكن عودته ..

ايلزابيت : لقد قرأت مثل هذا السؤال في عيني .. فصرخت بي بقوة وتصميم أكيدين .. (نعم انه سيعود ... سيعود) .. بل انها تدعي ان الجثة المسجاة في الغرفة ليست جثة ولدها

دون جيورجي : ليست جثة ولدها ؟؟

دونا فيورينا : هذا ما قالته ليلة البارحة ايضا ..

ايلزابيت : وهي ترغب برفع هذه الجثة بالحال

(تخفي دونا فيورينا وجهها براحتيها)

دون جيورجي : لحملها الى الكنيسة ؟

ايلزابيت : ترغب برفعها .. دون ان تلبسها ثيابها

دونا فيورينا : (ترفع رأسها) آه ..

ايلزابيت : أشرت عليها بأن الواجب يقضي بالباس الجثة بعض الثياب

دون جيورجي : خصوصا قبل ان تتيبس الجثة

ايلزابيت : نعم .. ولكنها اجابتني باشارة تدل على مدى اشمئزازها ثم امرتني باحضار شيء من الماء لغسلها وان الفها بعد ذلك بالمناشف واقصيها بعيدا. هذا ما أمرتني به وها انا ذاهبة لتنفيذه .

(تخرج)

دونا فيورينا : اخبرتك انها على شفا الجنون

دون جيورجي : ربما كان هذا هدفها حقا .. اذ نلبس الثياب لمن خلع عنه كل شيء .

دونا فيورينا : ربما كان هدفها حقا .. ولكن يرعبني ان أراها على هذه الحال.

دون جيورجي : انها لا تتصرف كالآخرين

دونا فيورينا : ما تفعله ليس عن سابق تصميم

دون جيورجي : هذا ما أتمناه .. ولكن هناك شيء من الشك في أعماقي . اذ غالبا ما نخطىء عندما نتحاشى التصرف كالآخرين فلا نجد انسانا ما يشاطرنا ألمنا .. انها تريد ترك ابنها عاريا مع الموت .. أتفهم باقي الامهات مثل هذا التصرف ؟

دونا فيورينا : من جهتي فانا عاجزة عن فهمه

دون جيورجي : أرأيت ؟؟ ثم ان تجيزي لنفسك الحكم عليها .. وادانتها ..

دونا فيورينا : انها تتصرف هكذا منذ ان خلقت .. فعندما تحدثها يخال لك انها تسمعك ولكنها تجيبك فجاة بكلمات كأنها صادرة عن عالم بعيد .. كلمات لا يمكن للمرء ان ينتظرها . كلمات حقيقية ـ رباه كيف يجب ان اصفها لك ـ تكاد تلمسها لشدة حقيقتها .. ولكن عندما تفكر بمغزاها بعد مدة تجد انه من العجيب ان تتبادر كلمات كهذه لذهن انسان ما . انها تخيفني احيانا وأقسم لك اني بدأت أخشى سماع حديثها .. فاني أخاف ما يمكن ان تتفوه به . بل اني لا اكاد اقوى على التحديق في عينيها .

دون جيورجي : أنها ام مسكينة

دونا فيورينا : أن تشهد بأم عينيها موت ابنها الشاب خلال يومين فقط

دون جيورجي : ابنها الوحيد الذي عاد منذ فترة وجيزة

(يدخل جيوفاني البستاني الشيخ دون ان ينتبه المتحدثان اليه ليركع امام باب غرفة المتوفي حتى يصل رأسه الى الارض ويبقى لحظة صغيرة على هذه الصورة بينما لا زالت دونا فيورينا تتابع حديثها)

دونا فيورينا : لقد انتظرت عودته سنوات طويلة .. سبع سنوات لا تنتهي .. عدا عن انه كان طفلا تقريبا عندما غادرها .

دون جيورجي : اذكر ذلك .. واذكر ذهابه الى ليبج لتكملة دراسته للهندسة

دونا فيورينا : (تشير برأسها باستنكار خفيف) وهناك التقى بهذه الفتاة التي أصبحت زوجته

دون جيورجي : (متنهدا) أعرف ذلك .. ولهذا السبب بقيت (يشير برأسه الى الغرفة) فلدي امر اريد بحثه معها يتعلق بهذه القضية

(يشير البستاني اشارة الصليب على رأسه ثم يخرج)

(تنظر اليه دونا فيورينا وتتريث حتى تتأكد من خروجه ثم تسأل بلهجة قلقة متحدثة عن الميت)

دونا فيورينا : لقد اعترف لك قبل ان يموت .. هل طلب منك تنفيذ توصية اخيرة ؟

دون جيورجي : (بخطورة) نعم

دونا فيورينا : أتتعلق التوصية بهذه المرأة ؟

دون جيورجي : نعم .

دونا فيورينا : لو تزوجها عندما عرفها لكان خيرا له .. فهو عرفها منذ ان كان طالبا بفلورنسا

دون جيورجي : انها فرنسية .. أليس كذلك؟

دونا فيورينا : أصبحت فرنسية بعد زواجها .. ولكنها ايطالية المولد ... وكانت طالبة مثله بفلورنسا .. عندما تزوجت بالفرنسي الذي أخذها الى ليبج بالذات قبل ان يذهب بها الى نيس .

دون جيورجي : وهل تبعها (يشير بعينيه الى الغرفة) الى ليبج ؟

دونا فيورينا : أي عذاب قاسته اختي المسكينة .. انه لم يعد مرة واحدة الى هنا خلال سبع سنوات كاملة . واخيرا وعندما عاد ... لم يمكث سوى ساعات ثم توفي ... انه لم يقطع صلته بهذه المرأة بعد . فهو لا يزال يراسلها . لا شك انه قد اعترف لك بذلك (تنظر اليه ثم تقول مترددة) آمل ان يكون قد اتخذ بعض الاحتياطات للاطفال ..

دون جيورجي : (ناظرا اليها بدهشة) أي أطفال ؟ !

دونا فيورينا : ألا تعرف انها قد وضعت طفلين ؟

دون جيورجي : طفليها هي .. نعم انه حدثني عنهما .. بل انه اكد لي ان هذين الطفلين كانا سلوى له ولوالدتهما.

دونا فيورينا : هل استعمل كلمة (السلوى) بالذات ؟

دون جيورجي : نعم

دونا فيورينا : اذن فهو لم يكن الاب الحقيقي لهذين الطفلين ..

دون جيورجي : لا .. لا يمكننا بالطبع ان نقول عن الزنا انه طاهر حتى لو صدر عن القلب والفكر فقط ... ولكن .. هذا على الاقل ما اخبرني به .

دونا فيورينا : اذا كان هناك ما اخبرك به قبل ان يموت .. فليغفر الله لي .. فوالدته قد اكدت لي دوما نقاء حبه لهذه السيدة .. واعترف بأني لم اصدق كلمة مما تدعيه .. فعاطفة العاشقين كانت شديدة لدرجة أوهمتني ان الطفلين ..

دون جيورجي : لا .. لا ..

دونا فيورينا : (تشير للراهب بصمت) .. رباه .. اتسمع .. انها تتحدث .. انها تحدثه .. (تقترب من الباب بخطى حذرة محاولة ان تسمع)

دون جيورجي : دعيها وشأنها فهي تهذي

دونا فيورينا : على العكس .. اننا نرى الامور حسب أهوائنا .. ولكن ما ادراك المعنى الذي استخلصته لنفسها من هذه الكارثة ؟؟

دون جيورجي : اجبريها على ان تكون أقل وحدة مما هي

دونا فيورينا : هذا مستحيل .. والمحاولة عقيمة

دون جيورجي : خذيها على الاقل لادراك لبضعة أيام

دونا فيورينا : حبذا . ولكنها لم تترك هذه الدار منذ عشرين عاما قضتها كلها بالتأمل .. لقد أصبحت غريبة بالنسبة لنا جميعا ..

دون جيورجي : ان خواطر الوحدة هي اسوأ الخواطر .. فهي تنفخ على الروح بذور الحرارة .

دونا فيورينا : ان الوحدة قد استقامت الان في أعماقها .. يكفي ان تنظر الى عينيها كي تشعر بأن العالم الخارجي قد كف عن تهيئة وسائل التعزية لها .. لقد سجنت نفسها بهذه الدار التي يثير وقع الخطوات فيها الرعب ـ نعم الرعب ـ يخال لي ان الزمن يتهاوى فيها كما يتهاوى في حفرة .. اني أتخيل صوت الاوراق التي تتلاعب بها الريح في الليالي المظلمة ... فيأخذني الرعب عليها .. عندما أتصورها وحيدة كل الوحدة هنا ، الريح تذهب بروحها .. لتأخذها الى حيث كان ولدها ... اما الآن .. فالى أين ؟ (تظهر شقيقتها على عتبة الباب .. فتصمت فجأة)

(تدخل الدونا آنا زائغة النظرات ... بيضاء الوجه .. في عينيها نور خاص .. وعلى شفتيها نبرة تجعلها مميزة تمييزا روحيا عما يحيطها من بشر وأثاث . . بل ان وحدتها وجدة شخصيتها تظهران بصورة طبيعية تجعل من الدونا آنا مخلوقا يقرب من الألوهية..حديثها اشبه ما يكون بامواج من اللهب)

دونا آنا : (بصوت ممزق) ولكني لا زلت على قيد الحياة

دون جيورجي : (محاولا تعزيتها) هذا أمر الله يا صديقتي المسكينة

دنا فيورينا : تشجعي يا آنا

دونا آنا : الا تشعران ان الله لا يمكن ان يكون بعيدا وانه خالد في اعماقي ... في اعماقنا .. في أعماق هذه الارض طالما شاء . الا تشعران ايضا ان خلوده لا يقتصر علينا وحدنا ... بل في أعماق هؤلاء الذين تركونا الى الابد والذين لا زالوا يحيون رغم ذلك بيننا ...

دون جيورجي : يحيون في ذكرياتنا ..

دونا آنا : (تنظر اليه كمن اصيب بطعنة نجلاء عند سماعها كلمة الذكرى .. وتستدير برأسها كمن يبتعد عن مشهد جرحه . تجلس وتتحدث الى نفسها بصوت بارد وبطيء) لا يمكنني ان اتحدث .. او ان استمع الى حديث الآخرين .

دونا فيورينا : لماذا يا آنا ؟

دونا آنا : لا يمكنني ان اسمع الكلمات كما يلفظها الآخرون .

دون جيورجي : لم ألفظ الا كلمة (الذكرى)

دونا آنا : انك تلفظها (الذكرى) وكأنك تقول (الموت) وانا لم أحي على شيء قدر ما حييت على الذكرى .. وليست لي حياة اخرى سواها .. فهذه هي الحياة الوحيدة التي يمكنني لمسها والاحساس بوجودها .. وعندما تلفظ هذه الكلمة اشعر انك تبعدني عن كل شيء .. وانك تحرمني من كل شيء

دون جيورجي : وماذا تريدني ان اقول ؟

دونا آنا : ان يتلطف الله بولدي ويأن يعيش .. نعم هذا ما اريدك ان تقوله.. ولا اعني حياته التي وهبه اياها على هذه الارض ... ولكن الحياة التي وهبته انا اياها ... نعم فهذه الحياة تدوم له ما زلت حية . الا تنص التعاليم بأن من قام بعمل صالح فانه يظل من الخالدين ؟؟ ان ولدي لن يصبح خالدا .. ولكنه سيظل حيا ما دمت حية سيبقى حيا على هذه الارض مع كل الاشياء التي احاطت به ، ومع حياتي التي غدت ملكه ولا يمكن لانسان ان يجردها اياها .)

(عبثا يحاول دون جيورجي مقاومة صلفه واعادة دونا آنا الى ما يظنه الصواب. يرفع يده الى السماء كانه يستدعي رحمة الرب)

دونا آنا : (تلحظ حركته) الله .. لا .. ان الله لا يسلب الحياة

دون جيورجي : اعني الحياة الدنيا

دونا آنا : أيكفيك اذن ان تعرف ان في الغرفة المقابلة جسد مسكين عاجز عن النطق ، عاجز عن السماع لتؤمن بأن كل شيء قد انتهى ؟؟ وانه لم يبق علينا الا ان نلبسه رداء من الاردية التي اتى بها معه من فرنسا ، حتى لو عجز هذا الرداء عن حمايته من الجليدالذي يختفي في اعماقه ولا يأتيه من الخارج ؟؟

دون جيورجي : انها العادات المتبعة يا سيدتي

دونا آنا : نعم ، ثم نقيم الصلاة ونشعل الشموع ..

دونا آنا : هيا اسرعوا لتهيئة كل ذلك.. فانا اريد ان يعود كل شيء الى ما كان عليه قبلا وان تبقى غرفته حية بالحياة التي وهبته اياها .. تنتظر عودته اليها شأنها يوم رحيله .. الم اخبركم اذن بان ولدي لم يعد بعد من سفره ؟؟

(تلمح نظرة قلقة يتبادلها دون جيورجي مع دونا فيورينا) لا تشر بعينيك الى فيورينا فولداها فلانيو وليديا قد تركاها ايضا وذهبا للمدينة ... اتعتقد انهما سيعودان ؟ (تنتحب فيورينا بصمت عند سماعها هذه الكلمات) لا تبكي .. لقد بكيت كثيرا مثلك .. أتذكرين يوم رحيله ؟

اني بكيت دون ان اعرف السبب ... وها انت الان تبكين دون سبب ...

دونا فيورينا : اني ابكي على حالك يا آنا

دونا آنا : ألا تدركين اذن انه عليك البكاء دون انقطاع ... فيورينا (تمسك بوجه شقيقتها بين يديها وتنظر اليها بحنان) أهذه انت ؟ بجبهتك وعينيك .. كيف امكنك ان تتغيري الى هذه الدرجة ؟ اني اذكر كيف كنت تتألقين كالزهور.. اخال اني احلم وانا انظر اليك الان .. انت نفسك اتذكرين كيف كنت ؟!

دونا فيورينا : نعم كالحلم يا آنا ..

دونا آنا : أرأيت كيف تتشابه الامور ؟ كالحلم!! واذا تغير جسدك ماذا يبقى من جسدك الذي كان البارحة وقبله ؟؟ ذكريات وأحلام .. البارحة وقبله .. هذا هو كل شيء

فيورينا : نعم .. ذكريات واحلام ..

دونا آنا : أرأيت .. فاذا كانت الذاكرة حية فالحلم يصبح حياة.. انولدي كما أراه الان لا يزال حيا . وانا لا اتكلم عن هذا المسجى في الغرفة . حاولي ان تفهميني

دونا فيورينا (هامسة) ولكنه هو نفسه المسجى هنا

دون جيورجي : ليت الذي تم كان حلما .

دونا آنا (بعد لحظة من التفكير الداخلي .. وبهدوء عجيب) يلزم سبع سنوات سبع سنوات لا يفعل المرء فيها الا التفكير بالطفل الذي ذهب دون ان يعود .. على المرء ان يلاقي ما لاقيته كي يفهم مثل هذه الحقيقة التي تتعدى الالم وتتالق كضياء لا ينطفيء (تمسك صدغيها) باعثة هذه الحمى الهائلة . هذه الحمى الباردة التي تقتل الدموع . وتصلب الصوت

أي ضياء همجي ناصع .. اني ادور وادور على اصداء صوتي.. كأن احدا غيري يتكلم .

دونا فيورينا : حاولي ان تستريحي قليلا .

دونا آنا : لا يمكنني ذلك .. يجب ان ابقى حية .. دون جيورجي تأمل جيدا واخبرني اذا لم اقل الصواب . انك تعتقد اني فقدت ولدي أليس كذلك ؟ انه لم يمت هذه الليلة . لقد ذرفت دموعي كلها عندما رايته يذهب فلم يبق لي دموع اذرفها عندما رأيت هذا الاجنبي يعود لي .. وقد فقد كل شيء يجعل منه ولدي ...

دون جيورجيو : نعم ان تغييره كان كبيرا .. وكنت تبدين الملاحظة نفسها قبل قليل بشأن شقيقتك . كلنا يعرف هذا .. فالحياة لا ترحم وهي تغيرنا ..

دونا آنا : (متأففة) أتعتقد ان كلمة (التغيير) كافية لتعزيتنا .. ان التغيير يعني اننا اصبحنا اناسا جديدين . واذا زال الى الابد الشخص الذي كناه من قبل هذا (التغيير) أتعتقد ان كلمة التغيير كافية للتعبير عن ذلك ؟؟! اني لم استطع التعرف على هذا الاجنبي الذي عاد لي .. لقد ظللت اترصده متمنية نظرة واحدة في عينيه ، ابتسامة واحدة على ثغره ، بريقا واحد على جبينه ـ جبينه اليافع مع خصلات شعره السوداء التي ذهبتها الشمس ـ تعيد الي ولدي القديم بصورة هذا الاجنبي الجديد ولكن لا .. عيون جامدة . جبهة مقطبة وفكان منحدران ورأس خال تقريبا من الشعر (تشير الى غرفة الميت) أيمكنك ان تعترض اذا اخبرتك ان هذا الرجل ليس ابني ؟ ان الام خير من تعرف ولدها فهي التي وضعته للحياة .. والحياة لا لا يمكن ان ترد لها جميلها بهذه القسوة وان تأخذ ولدها منها وان تغيره . لقد جعلت منه رجلا اخر لا اعرفه . انه مات ولكنه لا زال حيا في نفسي .

دون جيورجيو : لقد مات بالنسبة لك .. ولكنه لم يمت بالنسبة لنفسه لانه كان حيا قبل ساعات ..

دونا آنا : نعم كان يحيا حياته .. وماذا اعطى الاخرين منها ؟.. ماذا اعطاني مثلا القليل والاقل من القليل مند امد بعيد.. لقد وهب حياته هذه لهناك . (تشير بيدها اشارة بعيدة) أتفهم معنى المي الان ؟؟ هذا الذي عاش بأعماقي كان يحيا هناك مع هذه المرأة ولم يعد لي الا هذا الغريب الذي لا يمكنني ان افهم كيف اصبحت حياته ، طريقته برؤية الامور والاحساس بها عند لمسها . ان ما فقدناه اليوم شيء لا نعرفه ولا يمكننا ان نعرفه . حياته كما شعر بها ، ربما كان هذا حقا ولكن عليك ان تعترف بأن السبب الحقيقي الذي يجعلنا نبكي موتانا ليس هو السبب التقليدي .

دون جيورجيو : انا نبكي ما فقدناه !

دونا آنا : انا نفقد حياتنا كماكان يراها المتوفي هذا الرجل الذي لا نعرفه ..

دون جيورجيو : لا يا سيدتي

دونا آنا : نعم .. نعم اننا نبكي انفسنا نبكي لان الذي توفي اصبح عاجزا عن وهبنا الحياة ... فعيناه الجامدتان اصبحتا عاجزتين عن رؤيتنا ويداه المثلجتان اصبحتا عاجزتين عن لمسنا . ما سبب بكائي اليوم مثلا .. عندما كان ولدي بعيدا كثيرا ما كنت اناجي نفسي فأقول (اذا فكر في لحظة واحدة .. فأنا موجودة) وهذا ما كان يعنيني ويشجعني في وحدتي ولكن ماذا تريدني ان اقول الان ؟ يجب ان أقول اني لم اعد حية بالنسبة له ولن اكون حية ابدا . انه اصبح عاجزا عن التفكير بي ، وان يهبني الحياة ولو لحظة واحدة . وها انت تأتي لتقول عكس ذلك . وانه هو الذي مات بالنسبة لي .. هذا خطأ .. انه لا زال يلتهم اعماقها وينير وجهها .. (تتجه مباشرة الى الباب .. فتصادف ايلزابيت عائدة مع خادمتين احداهما تحمل شيئا من الماء الساخن والاخرى قليلا من العطور .. وتحدثهما بلهجة تدل على نفاذ الصبر .)

دونا آنا : هيا اسرعي يا ايلزابيت بتنفيذ ما امرتك به .

(تدخل الخادمتان غرفة المتوفي)

ايلزابيت : (معتذرة) لقد بلغت أوامرك

دونا آنا : (مقاطعة) نعم

ايلزابيت : (متمتمة) علينا ان ننتظر قدوم الطبيب كي يكتب لنا التقرير

دونا آنا : نعم .. فهمت .. والان اسرعي (تشير الى الارض) لقد نسيت احدى النسوة صليبا لها على الارض (تنحني ايلزابيت وتلتقط الصليب مقدمة اياه الى سيدتها .. فتتناوله هذه منها بينما تحاول ايلزابيت الخروج)

دونا آنا (مكررة) لا تنسي اوامري يا ايلزابيت ..

ايلزابيت : كوني مطمئنة يا سيدتي (تخرج)

دونا آنا : (ناظرة للصليب بين اصابعها) ان نصلي .. ان نضع المنا على الارض ..

خذه يا دون جيورجيو (تمد الصليب اليه) .. لقد اصبحت الصلاة امرا صعبا بالنسبة لي.اناقف على قدمي.. هذا ما اريد وان اتالم وانا واقفة ... لحظة عقب لحظة .. يخيل الي أحيانا ان قوتي تنقطع .. واني سأترك نفسي صارخة .. (رباه .. لقد نفد صبري .. دعني اركع) ولكنه يرفض دوما .. فهو يريدنا دوما وقوفا واحياء لحظة عقب لحظة على هذه الارض .. دون امل بالراحة .

دون جيورجي : الحياة الحقة هي الحياة الاخرى يا صديقتي المسكينة ... يا صديقتي المسكينة

دونا آنا : ان الله لا يمكنه انيموتمعكل واحد من مخلوقاته .. اني واثقة مما اقول. كما انه لا يمكنك اقناعي بأن ولدي لم يمت . انت تقول ان الله قد دعاه اليه.

دون جيورجي : هذا مؤكد

دونا آنا : (بصوت ممزق) ولكني لا زلت على قيد الحياة

دون جيورجي : (محاولا تعزيتها) هذا امر الله يا صديقتي المسكينة

دونا فيورينا : تشجعي يا آنا

دونا آنا : الا تشعرانبانالهلايمكن انيكونبعيدا وانه خالد في اعماقي . في اعماقنا .. في اعماق هذه الارض ما شاء ، الا تشعران ايضا ان خلوده لا يقتصر علينا وحدنا .. بل في اعماق هؤلاء الذين تركونا الى الابد والذين لا زالوا يحيون رغم ذلك بيننا .

دون جيورجي : يحيون في ذكرياتنا ..

دونا آنا : (تنظر اليه كمن اصيب بطعنة نجلاء عند سماعها كلمة الذكرى ... وتستدير برأسها كمن يبتعد عن مشهد جرحه ، تجلس وتتحدث الى نفسها بصوت بارد وبطيء) لا يمكنني ان اتحدث .. او ان استمع الى حديث الاخرين

دونا فيورينا : لماذا يا آنا !

دونا آنا : لا يمكنني ان اسمع الكلمات كما يلفظها الاخرون

دون جيورجي : لم الفظ الا كلمة (الذكرى)

دون آنا : انك تلفظها (الذكرى) وكأنك تقول (الموت) وانا لم احي على شيء قدر ما حييت على الذكرى .. وليست لي حياة اخرى سواها .. فهذه هي الحياة الوحيدة التي يمكنني لمسها والاحساس بوجودها.. وعندما تلفظ هذه الكلمة اشعر انك تبعدني عن كل شيء .. وانك تحرمني من كل شيء

دون جيورجي : وماذا تريدني ان اقول ؟

دونا آنا : ان يتلطف الله بولدي وان يتركه يعيش .. نعم هذا ما اريدك ان تقوله .. ولا اعني حياته التي وهبه اياها على هذه الارض .. ولكن الحياة التي وهبته انا اياها .. نعم فهذه الحياة تدوم له ما زالت حية . الا تنص التعاليم بان من قام بعمل صالح فانه يظل من الخالدين ؟؟؟ ان ولدي لن يصبح خالدا . ولكنه سيظل حيا ما دمت حية ! سيبقى حيا على هذه الارض مع كل الاشياء التي احاطت به ، ومع حياتي التي غدت ملكه ولا يمكن لانسان ان يجرده منها

(عبثا يحاول دون جيورجيو مقاومة صلفه ... واعادة دونا آنا الى ما يظنه الصواب .. يرفع يده الى السماء كانه يستدعي رحمة الرب)

دونا آنا : (تلحظ حركته) الله .. لا .. ان الله لا يسلب الحياة

دون جيورجيو : اعني الحياة الدنيا

دونا آنا : أيكفيك اذن ان تعرف ان في الغرفة المقابلة جسدا مسكينا قد كفعنالحركة ؟ جسد عاجز عن النطق ، عاجز عن السماع لتؤمن بان كل شيء قد انتهى ؟؟ وانه لم يبق علينا الا ان نلبسه رداء من الاردية التي اتى بها معه من فرنسا حتى لو عجز هذا الرداء عن حمايته من الجليد الذي يختفي في اعماقه ولا يأتيه من الخارج ؟؟

دون جيورجيو : انها العادات المتبعة يا سيدتي.

دونا آنا : نعم ، ثم نقيم الصلاة ونشعل الشموع ...

دونا آنا : هيا اسرعوا لتهيئة كل ذلك .. فانا اريد ان يعود كل شيء الى ما كان عليه قبلا وان تبقى غرفته حية بالحياة التي وهبته اياها .. تنتظر عودته اليها شأنها يوم رحيله ... الم اخبركم اذن بان ولدي لم يعد بعد من سفره ؟؟؟

(تلمح نظرة قلقة يتبادلها دون جيورجيو مع دونا فيورينا) لا تشير بعينيك الى فيورينا فولداها فلانيو وليديا قد تركاها ايضا وذهبا للمدينة .. اتعتقد انهما سيعودان ؟ (تنتحب فيورينا بصمت عند سماعها هذه الكلمات) لا تبكي .. لقد بكيت كثيرا مثلك .. اتذكرين يوم رحيله ؟ اني بكيت دون ان اعرف السبب ... وها انت الان تبكين دون سبب .

دونا فيورينا : اني ابكي على حالك يا آنا

دونا آنا : الا تدركين اذن ان عليك البكاء دون انقطاع .. فيورينا (تمسك بوجه شقيقتها بين يديها وتنظر اليها بحنان) هذه انت ، بجبهتك وعينيك ... كيف امكنك ان تتغيري الى هذه الدرجة ؟ اني اذكر كيف كنت تتألقين كالزهور .. اخال اني احلم وانا انظر اليك الان .. انت نفسك، اتذكرين كيف كنت ؟؟

دونا فيورينا : نعم ، كالحلم يا آنا .

دونا آنا : ارأيت كيف تتشابه الامور ؟ كالحلم !! واذا تغير جسدك ماذا يبقى من جسدك الذي كان امس وقبله ؟؟ ذكريات واحلام .. امس وقبله .. هذا هو كل شيء ..

فيورينا : نعم .. ذكريات واحلام

دونا آنا : ارأيت .. فاذا كانت الذاكرة حية فالحلم يصبح حياة .. ان ولدي كما اراه الان لا زال حيا . وانا لا اتكلم عن هذا المسجى في الغرفة . حاولي ان تفهميني

دونا فيورينا : ـ هامسه ـ ولكنه هو نفسه المسجى هنا

دون جيورجيو : ليت الذي تم كان حلما

دنا آنا : (بعد لحظة من التفكير الداخلي .. وبهدوء عجيب) يلزم سبع سنوات سبع سنوات لا يفعل المرء فيها شيئا الا التفكير بالطفل الذي ذهب دون ان يعود .. على المرء ان يلاقي ما لاقيته كي يفهم مثل هذه الحقيقة التي تتعدى الالم وتتألق كضياء لا ينطفيء (تمسك صدغيها) باعثة هذه الحمى الهائلة . هذه الحمى الباردة التي تقتل الدموع . وتصلب الصوت .

اي ضياء همجي ناصع ... اني ادور وادور على اصداء صوتي .. كان احدا غيري يتكلم .

دونا فيورينا : حاولي ان تستريحي قليلا

دونا آنا : لا يمكنني ذلك . يجب ان ابقى حية .. دون جيورجيو تامل جيدا واخبرني اذا لم اقل الصواب . انك تعتقد اني فقدت ولدي اليس كذلك ؟ انه لم يمت هذه الليلة . لقد ذرفت دموعي كلها عندما رايته يذهب فلم يبق لي دموع اذرفها عندما رأيت هذا الاجنبي يعود لي .. وقد فقد كل شيء يجعل منه ولدي ...

دون جيورجيو : نعم ان تغييره كان كبيرا .. وكنت تبدين الملاحظة نفسها قبل قليل بشأن شقيقتك . كلنا يعرف هذا ... فالحياة لا ترحم وهي تغيرنا ...

دنا آنا : (متأففة) اتعتقد ان كلمة (التغيير) كافية لتعزيتنا .. ان التغيير يعني اننا اصبحنا اناسا جديدين واذا زال الى الابد الشخص الذي كنتاه من قبل هذا(التغيير) اتعتقد ان كلمة التغيير كافية للتعبير عن ذلك ؟؟؟ اني لم استطع التعرف على هذا الاجنبي الذي عاد لي .. لقد ظللت اترصده متمنية نظرة واحدة في عينيه ، ابتسامة واحدة على ثغره ، بريقا واحدا على جبينه ـ جبينه اليافع مع خصلات شعره السوداء التي ذهبتها الشمس ـ تعيد الي ولدي القديم بصورة هذا الاجنبي الجديد.ولكن لا..عيون جامدة. جبهة مقطبة وفكان منحدران ورأس خال تقريبا من الشعر (تشير الى غرفة الميت) ايمكنك ان تعترض اذا اخبرتك ان هذا الرجل ليس ابني ؟ ان الام خير من تعرف ولدها فهي التي وضعته للحياة.والحياة لا يمكن ان ترد لها جميلها بهذه القسوة وان تأخذ ولدها منها وان تغيره . لقد جعلت منه رجلا آخر لا اعرفه . انه مات ولكنه لا زال حيا في نفسي

دون جيورجيو : لقد مات بالنسبة لك .. ولكنه لم يمت بالنسبة لنفسه لانه كان حيا

قبل ساعات

دونا آنا : نعم كان يحيا حياته ... وماذا اعطي الاخرين منها ؟.. ماذا اعطاني مثلا؟ القليل والاقل من القليل منذ امد بعيد .. لقد وهب حياته هذه الى هناك . (تشير بيدها اشارة بعيدة) اتفهم معنى الي الان ؟؟ هذا الذي عاش باعماقي كان يحيا هناك مع هذه المرأة .لم يعد لي الا هذا الغريب الذي لا يمكنني ان اقدر نوع نظراته لي والذي لا يمكنه ان يهبني شيئا والذي اذا لمسني لم يعاودني شعوري القديم . كيف يمكنني ان افهم كيف اصبحت حياته ، طريقته برؤية الامور والاحساس بها عند لمسها . ان ما فقدناه اليوم شيء لا نعرفه ولا يمكننا ان نعرفه . حياته كما شعر بها ، ربما كان هذا حقا ولكن عليك ان تعترف بان السبب الحقيقي الذي يجعلنا نبكي موتانا ليس هو السبب التقليدي

دون جيورجيو : انا نبكي ما فقدناه

دونا آنا : انا نفقد حياتنا كما كان يراها المتوفي . هذا الرجل الذي لا نعرفه

دون جورجيو : لا يا سيدتي

دونا آنا : نعم .. نعم اننا نبكي انفسنا . لان الذي توفي اصبح عاجزا عن وهبنا الحياة .. فمهناك الجامدتان اصبحتا عاجزتين عن رؤيتنا ويداه المثلجتان اصبحتا عاجزتين عن لمسنا. ما سبب بكائي اليوم مثلا ؟؟؟ .. عندما كان ولدي بعيدا كثيرا ما كنت اناجي نفسي فاقول (اذا فكر في لحظة واحدة .. فانا موجودة) وهذا ما كان يعينني ويشجعني في وحدتي ولكن ماذا تريدني ان اقول الان . يجب ان اقول اني لم اعد حية بالنسبة له ولن اكون حية بدا . انه اصبح عاجزا عن التفكير بي . وان يهبني الحياة ولو لحظة واحدة. وها انت تاتي لتقول عكس ذلك. وانه هو الذي مات بالنسبة لي .. هذا خطا .. انه لا زال حيا في اعماقي . وسيظل حيا ما دمت حية . سيظل يحيا الحياة التي اهبها له .. حياتي انا ..

وليست حياته التي لا اعرف عنها شيئا. لقد وهبته الحياة طيلة سبع سنوات دون انقطاع ، افلا يمكنني متابعة دوري هذا ؟؟ ما الذي مات فيه الان .. ولم يكن ميتا بالنسبة لي منذ امد طويل ؟ اني اكتشفت ان الحياة لا تتعلق بوجود جسد ما امامنا او غيابه.ربما كان الجسد امامنا ميتا فارغا من الحياة التي نهبه اياها.ان عينيه اللتين كانتا تتسعان احيانا وقد اضاءهما فجأة شعاع من النور ففدتا شعلة من السعادة والضحك والشمس .. قد فقدهما بحياته التي كان يحياها ولكنه لم يفقدهما بعد من حياته في نفسي.فعيناه لا زالتا كما هما في قلبي.. وعندما ادعوه باسمه .. اجده يلتفت لي باسما وقد امتلأت عيناه بالسعادة والضحك والشمس. ان الحقيقة الواحدة الثابتة هي اني لن ادعه يبتعد بعد الان عني بعد ان اصبحت املك حياتي كلها .. ولن ادع لموجود اخر الحق بان يدخل بيننا . حياته كلها ستكون له .عيناي اللتان تريانه. وشفتاي اللتان تحدثانه . بل يمكنني ان ادعه يحيا حيثما يريد ان يحيا.. دون ان اطلب منه مقابلا عن ذلك .. بل اني سارضى بحياته هناك مع هذه المرأة . سيحياها لوحده معها وسابقى هنا وحدي بانتظار عودته اذا امكنه ان يتحرر من سلطان عواطفه (لدون جيورجيو) أأنت على علم بقصته معها ؟

دون جيورجيو : نعم لقد حدثني بكل شيء

دونا آنا : هذا ما توقعته

دون جيورجيو : كما اعلمني عن الطريقة التي يريد اخبارها بموته

دونا آنا : (كانها تتحدث بلسان ابنها) ان حبه ظل شامخا حتى اللحظة الاخيرة

دون جيورجيو : نعم .. وهو يريد منا ان نعلمها بالحادث بعداتخاذ كافة الاحتياطات وبعد اخبار والدتها التي تقيم معها في نيس

دونا آنا : (بنفس اللهجة) لن يخيب املها بحبه ابدا .

دون جيورجيو : ماذا تقولين ؟

دونا آنا : (بلهجة طبيعية) عليها ان تتعلم فقط كيف تدعه يحيا في قلبها وان تنتظره هناك كما انتظره انا . اذا كانت تحبه حقا ستفهم هدفي .. فحبهما كان ولحسن الحظ يتجاوز عالم الجسد فلماذا لا يستمر اذن على الصورة ؟

دونا فيورينا : ماذا تقولين يا آنا ؟

دونا آنا : عليها ان تمنحه الحياة بان تحبه من اعماقها كما تحبه الان في هذه اللحظة. يكفي ان تعتقد انه لا زال عندي .. كما اعتقد انا انه لا زال عندها

دون جيورجيو : اتظنين انه من السهل التقلب على الموت بهذه الصورة ؟

دونا آنا : اتريدني ان اجيبك بالنفي ؟؟ ان الحياة تضع دوما احجارا على الموت ثم تمر عليها . اننا نكافح في سبيل حياتنا نحن لا حياة الذين ماتوا . فالموتى منا نريدهم ان يظلوا موتى كي نتابع حياتنا بسلام . علينا ان نقهر الموت

دون جيورجيو : لا ثم لا ! انني لا اقر نسيان الموتى منا .. ولكن ان اذهب حتى الاعتقاد بحياتهم فهذا امر خطير

دونا فيورينا : وان ننتظر عودتهم

دون جيورجيو : عودة يستحيل وقوعها

دونا آنا : اذن من الافضل الاقرار بموته

دون جيورجيو : نعم مع كل اسف

دونا انا : وان نتاكد من استحالة عودته وان ابكي وابكي تاركة للزمن مهمة تضميد جراحي ..

دونا فيورينا : نعم فالزمن كفيل بالسلوى .

دونا انا : وبين فترة واخرى ذكرى شاحبة تذكرني به (كان يرتدي هذا ، كان يقول ذلك)

اهذا ما تريدني ان افعل ؟

دونا فيورينا : هذا ما يفعله الجميع يا شقيقتي المسكينة

دونا انا : اي ان ادعه يموت هكذا في اعماقي وليس دفعة واحدة كما مات في هذه الغرفة .. ولكن رويدا رويدا بنسيان ذكراه وبرفضي منحه الحياة التي يمكنني وهبها له لانه اصبح عاجزا عن وهب الحياة لي، هذا ما تريدانه ؟؟ العين بالعين ... بما انك عاجز عن منحي اي شيء .. فساكف عن منحك اي شيء . او اني ساكون اشد كرما منك لانك اذا كففت عن وهبي الحياة فهذا لا يعود لارادتك بل لانك اصبحت عاجزا لا تملك ذرة واحدة من الحياة ، لذا فساتابع منحك اجزاء صغيرة متمثلة بصورة ذكريات متقطعة ... بعيدة وشاحبة وعاجزة عن اعادتك بيننا

اي فظاعة . انه الموت باشنع صوره .. ..اهذه هي الحياة التي تنصحون اما عاقلة باتباعها بعد فقدها ولدها الوحيد ؟؟

(يدخل البستاني مضطرب الوجه وبيده رسالة .. يقف امام الباب مشيرا الى الدونا فيورينا دون ان يدع سيدته تراه .. ولكن دونا انا تلمح حركة فيورينا فتلتفت كاشفة البستاني المضطرب)

لجنة التاليف المدرسي تشكر جميع المعاهد العالية في لبنان وسائر العالم العربي ، مغربه ومشرقه ، التي قررت تدريس كتابها :

التعريف في الادب العربي

تأليف الاستاذ رئيف خوري

وتعلن عن ظهور طبعته الجديدة ، المزيدة والمنقحة جزأين ، ويطلبان من جميع المكتبات

كتاب « التعريف في الادب العربي »

يحلل الاتجاهات الادبية طبقا لاحدث النظريات النقدية واصحها .

ويؤرخ لاعلام الشعراء والكتاب، ويدرس الفنون الادبية بفهم عميق ، وتحليل مقارن .

قضايا الفكر المعاصر

سلسلة كتب تتناول اهم القضايا الفكرية التي تشغل المثقفين اليوم ، مع دراسة وافية لاعلامها وممثليها العالميين

صدر منها

١ ـ سارتر والوجودية

تاليف ر.م. البيريس ترجمة الدكتور سهيل ادريس

٢ ـ كامو والتمرد

تاليف روبير دولوبيه ترجمة الدكتور سهيل ادريس

تطلب من دار العلم للملايين
ودار الآداب ـ بيروت

دونا آنـا : ماذا حدث يا جيوفاني ؟

جيوفاني : (مخفيا الرسالة) لا شيء .. كنت اريد ان اخبر السيدة

دون جيورجيو (وقد لمح الرسالة في يـد البستاني) اهي الرسالة التي كـان ينتظرها ؟

دونا آنا : (محدثة جيوفاني) امعك رسالة ؟؟؟

جيوفاني : (مترددا) نعم .. ولكن ..

دونا آنا : اعطني اياها .. فانا اعرف انهـا موجهة اليه (يعطيها الرسالة ثم يخرج)

دون جيورجيو : كان ينتظرها بفارغ الصبر

دونا آنا : نعم ، منذ يومين .. أأخبرك عنها ؟

دون جيورجيو : اذن لك بفتحها عند تلقيكاياها.

دونا آنا : أن افتحها انا ؟؟

دون جيورجيو : كي تزيلي عن نفسه خطـرا سبب له العذاب حتى لحظاته الاخيرة

دونا آنا : لقد فهمت مراده

دون جيورجيو : كان يخشى ان ترتكب حماقة ..

دونا آنا : (متمتمة) وان تلحق به الى هنا .. اني اعرف ذلك .. لقد كان ينتظر ان تهجر منزلها وبنتيها وامها

دون جيورجيو : اخبرني انه بدأ بكتابة رسالة يمنعها فيها عن الاقدام على مثل هذا الامر

دونا انـا : رسالة لها ؟

دون جيورجيو : نعم

دونا آنا : (تشير الى المكتب) اذن فالرسـالة ولا بد موجودة هنا ..

دون جيورجيو : بلا شك.. ولكن من الواجب تمزيق الرسالة الان .. وتنفيـذ ارادة المتوفى والكتابة الى والدة الفتاة .. ولكن فلنر ما اتت به هذه الرسالة الجديدة !

دونا انا : (تفتح الرسالة) نعم

دن جيورجيو : كنت انتظرك لاخبـارك عـن هذه الرسالة فاذا بها تصل قبل حديثي

دونا انا : (تخرج الرسالة من المظروف) نعم ... نعم

دونا فيورينا : رسالة لرجل لم يعد هنا

دونا انا : بلى .. انه هنا ... (تقرأ الرسالة تاركة يديها وعينيها تكشف مدى القلق والاضطراب اللذين تحس بهمـا لوجـود انسان اخر يؤمن بحياة ولدها)

دونا انا : انها تخبره بعزمها على اللحاق به .. وانها ستاتي قريبا

دون جيورجيو : علينا بمنعها

دونا فيورينا : دون ان تضيع دقيقة واحدة

دونا انا : (تتابع قراءتها دون ان تنتبه لما يقولانه) لا يمكنها تحمل غيابه لحظة . كان شديد القرب منها (بلهجة يفيض منها الحنان) اي عاطفة في رسالتها . كم تحبه ! (تقرأ ، وفجأة تصرخ صرخـة اختلط فيها الفرح بالدموع) نعم .. يمكنك انت ايضا ان تفعلي ما افعـل (تراجع نفسها) ولكنها يائسة (تقرأ) ولكن العذاب (تتوقف ثم تقرأ من جديد) نعم .. حب كبير .. حب كبير . (بلهجة مختلفة) لا .. ثم لا ... (تتكلم كانها تجيب على الرسالة) وهو كذلك .. هنا او هناك ... سيظل الى الابد لك (بفرح ظاهر) انها تراه . انها تراه (مضطربة فجاة) ولكن غيابه يلهب يأسها (توجـه الحديث الى دون جيورجيو وشقيقتها) من المستحيل علينا في هذه الاونة ان نعلمها انه عاجز عن وهبها كامل حبـه وحياته

دون جيورجيو : ولهذا السبب طلب منا

دونا فيورينا : الا نخبرها مباشرة

دون جيورجيو : فوالدتها ولا شكخير منا فهما لها ...

دونا انا : لا هذا مستحيل .. فانها ستجـن وستموت .. لا... لا.

دونا فيورينا : على كل حال هذا ضروري يا انا

دونا انا : لماذا ...؟ لو عرفت كم هو حي في اعماقها .. كم هو حي في اعماق يأسها .. كيف تحدثه . وكيف تخبره عـن مدى حبها له .. انها تهدده بالانتحار ... اي كارثة اذا كف عن الحيـاة في اعماقها الان

دونا فيورينا : ماذا تقولين يا آنا ؟

دونا آنا : ان رسالته القديمة لا زالت هنـا (تفتح احد ادراج المكتب وتخرج الرسالة منه) ها هي .

دون جيورجيو : وماذا ستفعلين بها يا سيدتي؟

دونا آنا : لقد وجد بنفسه الكلمات الحيـة التي يمكنها ان تقنعها وان تمنعها عـن ارتكاب خطوتها الجنونية واللحاق به

دون جيورجيو : هل سترسلين هذه الرسـالة لهـا ..

دونا آنا : نعم سارسلها

دون جيورجيو : لا يا سيدتي

دونافيورينا : آنا .. ماذا ستفعلين ..

دونا آنا : انها لا زالت بحاجة الى حياته .. اتريدانني ان اقتله في هذه اللحظـة ؟. ربما قتلتها معه

دنا فيورينا : ولكنك ستكتبين الحقيقة لوالدتها بالوقت نفسه

دونا آنا : ساكتب لوالدتها راجية منهـا ان تتركه على قيد الحياة .. في سبيـل ابنتها

دون جيورجيو : ان الرسالة لم تتم

دونا انا : ساتمها بنفسي .. فخطـانـا متشابهان .. لقد كان يكتب مثلي ... ساتمها عنه

دونا فيورينا : لا يا آنـا

دون جيورجيو : انت لا تملكين الحق

دونا آنـا : اتركاني لوحدي .. فلا زالت يدي ملكه وستكتب عنه . انه سيكتب هـذه الرسالة ... سيكتبها

ستـار

ـ التتمة على الصفحة ٦٥ ـ

تطلب (الاداب)

في مدينة « فاس »

بمراكش

من مكتبة العلمي

زقاق الاحجار ٥١

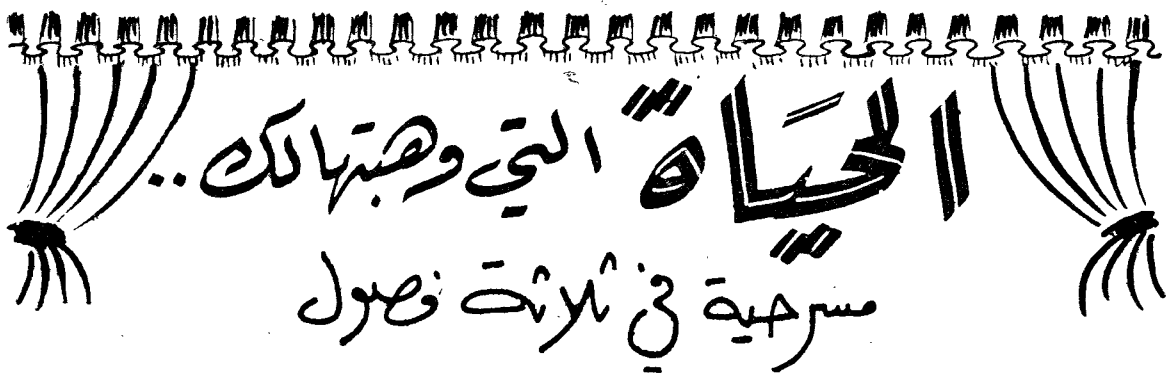

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٤٣ ـ

ـ الفصل الثاني ـ

بعد مضي عدة ايام

(الحجرة نفسها في بدء المساء . الاثاث نفسه وقد زادت عليه عدة اواني ملأى بالزهور عندما يرفع الستار يدخل جيوفاني البستاني الشيخ الى الغرفة حاملا آنية من الزهور . دونا آنا جالسة تتحدث مع شقيقتها)

دونا آنا : (تشير الى مكان ما من الحجرة كي يضع جيوفاني فيه الآنية) هنا يا جيوفاني .. ضعها هنا . (يضعها جيوفاني) والآن اذهب وآتني بالآنية الاخرى.. ودعْ احدا يساعدك اذا كانت ثقيلة الحمل .

جيوفاني : لا فائدة من ذلك يا سيدتي

دونا آنا : اني أعرف انها ثقيلة الحمل يا جيوفاني (يخرج جيوفاني .. بينما تتقدم دونا آنا نحو الزهور محدثة فيورينا) اي عطر يا فيورينا ! (تشير الى الزهور البعيدة) ما أجمل تلك الزهور الحية

دونا فيورينا : انك تزيدين عبء مسؤوليتك يا آنا . أتدركين ذلك ؟

دونا آنا : جنون .. بجنون .. اننا لم نرتكب أية حماقة في شبابنا سواء انت ام أنا .. فدعينا نفعل الان ما نريد

دونا فيورينا : ولكنك تشجعينها على جنونها .. وانت مسؤولة عن هذا

دونا آنا : كلا فهو قد رجاها بكل ما في وسعه الا ترتكب هذه الحماقة .. ولكنها أصرت على الهرب والمجيء الى هنا ولم يتسع لي الوقت لمنعها .. فهي قد سافرت

دونا فيورينا : لماذا لم تكتبي لوالدتها ؟ ؟

دونا انا : لم يمكني ذلك . لقد حاولت ثلاثة أيام متتابعة ولكني بؤت بالفشل اذ كنت خائفة ولم اعرف كيف اكتب

دونا فيورينا : خائفة من اي شيء ؟؟

دونا آنا : ان تعجز عن اتباع الطريق التي اتبعتها .. اني أخشى موت حبها عقب علمها بالنبأ

دونا فيورينا : ولكن ما عليك ان تتمنيه لها ولك .

دونا آنا : لا تقولي ذلك يا فيورينا .. هل تدرين انها ارسلت له رسالة جديدة ؟

دونا فيورينا : رسالة جديدة ..

(وقد اشتعلت عيناها ببريق فرح أسود) وقرأتها عنه .. انها اشد يأسا من الاولى

فيورينا : يا لرحمة السماء ! انك ترعبينني يا آنا

دونا آنا : ايصل الرعب الى قلب أم حملت طفلين حيين في احشائها وغذتهما من نفسها غارقة بشهية خاصة فقط بالنساء الحوامل ؟؟ أأنت خائفة اذن ؟ اني أكل الحياة اليوم في سبيل ولدي . اذا ناديته امامك فهل ستخافين ايضا ؟

دونا فيورينا : (وقد سدت اذنيها بكلتا يديها كمن يخشى حقا سماع النداء) لا .. اتوسل اليك يا آنا

دونا آنا : انك تخشين ان يهزأ من رعبك وان يبدو لك فجأة في حجرته . اني لا اخشى الاشباح فأنا واثقة انه يحيا في اعماقي واني لست مجنونة

دونا فيورينا : انك لست مجنونة ولكنك تتصرفين كالمجانين

دونا آنا : وما ادراك بتصرفاتي ، وبالساعات التي اقضيها عندما اترك رأسي على الوسادة واشعر بفراغ المنزل من حولي .. عندما لا تقوى الذكرى على اعادته لي لشدة انهيار اعصابي . في تلك اللحظات فقط أشعر بالحقيقة فأرتعش رعبا وهولا .. ولكن سلواي الوحيدة في هذه اللحظات هي ايماني بهذه التي ستأتي والتي لا تعرف الحقيقة بعد . انها تثير عزمي وتملأ فراغ حجراتي فارتمي على عينيها وفي قلبها كي اراه حيا من جديد ، كي اشعر به حيا من جديد في هذه الدار . اني عاجزة عن اداء هذه المهمة وحدي .

دونا فيورينا : وعندما تعلم ؟

دونا آنا : انت قاسية .. اتريدينني ان افكر بالمستقبل .. الا ترين مقدار المي .. يخيل الي اني احيا دقائقي الاخيرة وتريدين ان تحرميني حتى هذه الدقائق ؟؟

دونا فيورينا : لاني أظن ان هذه الرحلة ستضر بمصالحها بعد ان زال السبب الذي يدعو اليها .

دونا آنا : انت مخطئة .. لقد كتبت اليه ان زوجها غائب عن نيس وانها ستستغل غيابه

دونا فيورينا : واذا عاد زوجها فجأة ولم يجدها ؟

دونا آنا : لا شك انها قد وجدت بمساعدة والدتها عذرا ملائما . فوالدتها تملك بعضا من الاراضي في كورتون

دونا فيورينا : اني لا افهم كيف واتتها الفكرة باللحاق به الى هنا تحت سمعك وبصرك .

دونا آنا : انها لن تأتي الى هنا لوحدها فأنا التي سآتي بها اذ كتبت له تقول ان ينتظرها بالمحطة

دونا فيورينا : وستجدك عوضا عنه .. ماذا ستقولين لها ؟

دونا آنا : سأقول لها بادىء الامر ان تصاحبني

فلا يمكنني ان اخبرها بالحقيقة فيالمحطة امام الجميع

دونا فيورينا : بماذا ستشعر يا تـرى عنـد رؤيتك .. بماذا ستشعر عندما ستبحث عنه فلا تجـده

دونا آنا : ستعتقد انه لم يستطع المجيء وانه ارسـلني بدلا عنه .. وهذا ما سأقوله لها بادىء الامر أو ما شابه ذلك .

دونا فيورينا : ولكنك ستخبرينها بالحقيقـة عندما تصل الى الدار .

دونا آنا : بعد ان اقنعها باللحاق بي

دونا فيورينا : لماذا زينت الدار بـهذه الزهور اذن ؟

دونا آنا : لانها ستدخل جاهلة كل شيء .. انه هو الذي زين الدار ولست انا . كفاك استجوابا ! اتوسل اليك . ان هذه الورود لا مفر منها (يدخل جيوفانـي حاملا آنية اخرى) هناك يا جيوفاني .. ارجـوك

جيوفاني : (يضع الآنية بالمكان المشار اليه) انها اجمـل باقـة

دونا آنا : نعم .. لقد اخترنا اجمل الورود .. والان دعهم يهيئوا العربة لي

جيوفاني : العربة جاهزة يا سيدتي .. بعـد عشر دقائق ستكونـين بالمحطة .

دونا آنا : احسنت . والان اذهب (يخـرج باب غرفة الميت صارخة)

.. بينما تتجه آنا نافذة الصبر الـى

دونا آنا : ايلزابيت .. ألم تعـدي الحجـرة بعـد ؟؟

دونا فيورينا : رباه .. هل ستدعينها تنـام هنا يا آنا ..

دونا آنا : ليست هذه الغرفة لاجلها .. لقد اعددت لها غرفة بالطابق الاعلى (صارخة من جديد) لماذا فتحت النافـذة يـا ايلزابيت ؟

(تدخل ايلزابيت فجأة صارخة فرحة)

ايليزابيت : عاد الاولاد (الى فيورينا) سيدتي ان اولادك في الخارج

دونا فيورينا : (بدهشة سعيدة) ليدا ... فلافيو .

ايليزابيت : سمعت صوت صرخاتهم فيالحديقة انهم يصعدون الادراج

دونا آنا : أطفالـك ؟

دونا فيورينا : نعم لقد قدموا قبل موعدهم.. .. اذ كنت انتظرهم غدا .

ايليزابيت : ها هم (يسمع نداء قريـب .

تدخل ليدا(١٨)عاما وفلافيو ٢٠ عاما .

شابان قد غادرا قريتهما في العام الفـائت الى المدينة . ولكن عاما واحدا قد كفى لتغييرهما اذ اصبحا انسانين جديديـن لا في طريقة كلامهما وشعورهما فحسب بل في جسميهما ونظرتهما وحركاتهمـا. وهذا التغيير قـد تم طبعـا بصورة لا شعورية ولكن نظرة واحدة من دونـا فيورينا كفتها للاطلاع على هذه الحقيقة فترتعش وقد أحست ببداهة ما قالتـه لها اختها قبلا .)

ليـدا : (مرتمية على عنق امها) امي ... (تقبلهـا)

دونا فيورينا : صغيرتي ليدا (تقبلها) حدثاني كيف امكنكما الوصول اليوم .. فلافيو .. تعـال الي (تفتح ذراعيها له)

فلافيو : والدتي الصغيرة (يقبلها)

دونا فيورينا : حدثاني .. انها مفـاجأة كبيرة لي

فلافيو : استطعنا ان نترك المدرسة قبل يوم الموعد المحدد هذا هو كل شيء .

ليـدا : انه يفتخر بذلك الان .. وقد نسي انه رفض بادىء الامـر

فـلافيو : طبعـا .. وقائمة مشترياتك التي لا تنتهي .. وزيارتك للخياطين ولمحلات الازياء والعطور والجوارب الحريريـة.. كيف ستستعملين جوارب حريرية فـي القرية ، اني شديد الفضول لمعرفـة النتيجـة .

ليدا : سترين يا والدتي ماذا اشتريـت لك ولنفسـي .. انها أشياء رائعة ..

دونا فيورينا : (تحاول ان تبتسم عبثا بعـد ان لحظت مدى التطور الذي أصـاب ولديها . تنظر الى شقيقتها الـتي انسحبت الى ركن من الحجرة محتميـة بالظل . الظـلال تمـلأ الان الغرفة). انكما تتحدثان وتتحدثان ناسيين كـل شيء

(ينظر فلافيو وليديا باتجاه بصر والدتهما فيذكران انهما في دار خالتهما التي فقـدت ابنها منذ فترة وجيزة ويردان اضطـراب والدتهما الى هذا السبب فيحاولان انقـاذ الموقف)

فـلافيو : خـالتي أأنت هنا ؟

ليـدا : عفوا فنحن لم نرك

فـلافيو : ان فرحنـا بلقاء والدتنـا بعـد غياب سنة كاملة قد ..

ليـدا : مسكين ولدك

فـلافيو : ان أسـانا كبير .

ليـدا : لاجلـك

فـلافيو : كنت آمـل ان اجـده هنا وان اقضي اجازتي معه

ليـدا : وانا كنت آمل التعـرف به

فلافيو : ألا تذكرين اذن ؟!

ليـدا : كنت في التاسعة منعمري عندما رحل

فـلافيو : مسكينة انت يا خالتي

ليـدا : أعذرينا انت ايضا يا اماه

دونا آنا : انها ليست مضطربة لاجلي .. بل لاجلكما

ليـدا : (دون فهم) لاجلنـا ؟ كيف ـذلك ؟!

دونا آنا : لا شيء (تنظر اليهما ثم تقبلهما على الجبين) اهلا بكما (تقترب من شقيقتهـا هامسة مشجعة) لقد تغيرا حقـا ولكن لصالحهما .. علي ان اذهب الان

(تخرج تاركة اياهم غارقين في صمـت مضطرب .. بينما لا زال الظل يزداد في الحجـرة) .

فلانيو : لم تخطر لنا الكارثة على بال

ليـدا : ماذا تعني بأنك مضطربة لاجلنا ؟

دونا فيورينا : (كمن يستيقظ من حلم) لا شيء يا ولدي .. دعيني انظر اليكما

ايليزابيت : أي تغيير كبير

دونا فيورينا : لصالحهما .. لصالحهما ..

ايليزابيت : (ناظرة الى ليدا) لقد اصبحت فتاة كاملة الانوثة .. اكاد لا اعرفها .

دونا فيورينا : (خائفة كأنها تحاول حمايتها) لا .. لا زالت صغيرتي ليدا (تنظـر الى ابنها) وكذلك فلافيو

فـلافيو : (يقبلها) ماذا دهاك يا اماه !؟

دونا فيورينا : اقتربا منـي واتركاني انظر اليكما (تمسك وجه ليدا براحتيها) انظري الي دون ان تفكري بأي شيء ..

ليـدا : وكيف مات ؟؟ ألأجل ؟؟..

فلافيو : هذه المرأة ؟

دونا فيورينا : كلا . لقد سقط مريضا فجأة ثم توفي بعد يومين . ساحدثكما عن هذا فيما بعـد . والان حدثاني انتما

فـلافيو : أرأيت ؟ ان خيالاتك لا اساس لها من الصحـة . اذا امكنه الابتعـاد عنها فهذا يعني انه لا يحبها لدرجة الموت

دونا فيورينا : ماذا تقول ؟

فـلافيو : اني احذرك .. فهي دوما غارقـة في قراءة الروايات

دونا فيورينا : ليدا اصحيح ما يقول ؟

ليـدا : لا تسمعي هذيانه يا اماه ... فهـو كاذب

فـلافيو : انها وضعت العشرات منهـا فـي حقيبة سـفرها .. كذلك

ليـدا : تلطـف بعـدم التدخل بشـؤوني الخاصـة

دونا فيورينا : أتتشـاجران ايضا ؟!

ليـدا : انه لا يحتمـل .. لا تستمعي الـى أقاويله يا امي

فـلافيو : ماذا تدعى بطلة القصة التي أوحت لك بقبرص

دونا فيورينا (لنفسها) قبرص

ليـدا : انها صديقتي

فـلافيو : روزي الصغيرة

ليـدا : لا

فـلافيو فراتشي الصغيرة

ليـدا : ايضـا

فـلافيو : انها تغير صديقاتها كل يوم

ايليزابيت : لقد ذهبا قرويين وعادا اشـد مرونة من سكان المدن .

دونا فيورينا (محاولة الاعتراض) هذا طبيعي .. فجو المدينة .. وكبرهما بالسـن (الى ليدا) ما هي قبرص ؟

فـلافيو : انها اسم عطر غـالي الثمـن يا امي ..

دونا فيورينا : أتتعطرين وانت لا زلت في هذه السـن ؟

ليـدا : اني ابلـغ الثامنة عشرة يا امي

فلافيو : ثلاث قوارير بثلاثمئة ليرة

ليـدا : انك تنسى الذي صرفته على ياقاتـك وربطات رقبتك وقفازاتك وتجرؤ عـلى تذكيري بثمن عطوري

دونا فيورينا : اصمتا ارجوكما . فانا لا أود سماع مثل هذه المناقشات (الى ليدا بصوت يشيع فيه الحنان) انك تصففين شـعرك كالفتيات الكبيرات

ايليزابيت : كان شعرها يسيل خصلا عـلى ظهرها عندما ذهبت

دونا فيورينـا : (دون ان تستمع لما قالتـه ايليزابيت) لقد اصبحت اطول مني قامة (فجأة دون ان تتمالك نفسها) ما رأيك بي بعد هذا الغيـاب ؟

ليـدا : انت كما أنت

دونا فيورينا : لماذا تتاملينني اذن ؟

ليـدا : اني لا اتمالك

دونا فيورينا : هذا ما خلته .. وانت مـا رأيك يا فلافيو ؟

فلافيو : أصبحت غريبة الاطوار يا امي .. (ينظر اليها ضاحكا)

دونا فيورينا : لا تضحك ارجوك

فـلافيو : لزام علي الا اضحك في هذه الدار.. ولكنك تتكلمين ناظـرة الينا بصـورة مضحكـة

فيورينا : انا (بألم) ان اليل قد هبط .. وانا انظر اليكما دون ان اراكما

(اصبحت الغرفة غارقة بالظـلام الا من نور خفيف يشـع من غرفة الميـت

ايليزابيت : سأشعل الانوار

دونا فيورينا : لا حاجة لذلك هيا بنا يا اولادي ولنعـد الى دارنا

ليـدا : (تلمح النور) أهناك احد في هـذه الغرفـة ؟!

فيورينا : ليتك تعلمين

فلافيو : (بصوت خفيف متأثرا) أمات في هذه الغرفة ؟!

ايليزابيت : في هذه الدار يخال الي ان الكل قد ماتوا باستثنائه

فـلافيو : وهل تترك النور مضاء دوما ؟ !

ليـدا :(مقتربة من الباب بخوف) ان الغرفة مرتبة

دونا فيورينا : لا تنظري يا ليـدا !

فلافيو : كأنه سيعود اليها بين دقيقة واخرى

ايليزابيت : لا .. بل كانه لم يذهب منها ابدا ... كانه لا زال فيها . لقد قالت انهـا ستنظمها بصورة تجعله يكره الرحيل عنها (بكآبة) ان الاطفال الذين يرحلون يموتون بالنسبة لوالدتهم . انهم لا يعودون كمـا ذهبوا (تبكي دونا فيورينا محاطة بالظلال من كل مكان)

فلافيو : (معتقدا ان دموع والدته تعود الـى اساها على اختها) مسكينة خالتي .. اية كارثة

ليـدا : انها كارثة تؤدي الى الجنون

ايليزابيت : لو سمعتما حديثها لخلتما انهـا تراه .. اني اتلفت ورائي عندما اكـون وحدي كانه سيفتح هذا الباب ويخرج منه ليهبط الى الحديقة او لينظر خلال النافذة . اني احيا في رعب مستمر انها تجعلني اسهر بترتيب غرفته وتنضيـد فراشه . وكل مساء تأتي لتراقب اذا كان كل شيء قد جهز حسب تعاليمها كأنه سيعود للنوم في سريره

دونا فيورينا : (همسا متوسلة الى ليدا التي التصقت بها مذعورة من كلمـات اليزابيت) الا زلت تحبينني يـا صغيرتي ليدا

ليـدا : (منتبهة الى ما تقوله اليزابيت .. دون ان تصغي الى والدتها) اذن فهي تتابع ...

ايليزابيت : منحه الحياة

دونا فيورينا : هيا يا فلانيو ... هيا يا ليدا ... اتوسل اليكما

ايليزابيت : انتظري يا سيدتي .. ساتي لكـم بما ينير طريقكم فالظلمة حالكة هنـا

دونا فيورينا : شكرا يا اليزابيت افعلي ذلـك ... والان فلنعد الى دارنا

(تخرج ايليزابيت تتبعها دونا فيورينـا والاولاد .. يبقى المسرح مظلما الا من ضيـاء خفيف يشع من غرفة الميت ، ستارة النافذة تتحرك كان يدا خفية تهزها ...

تعود ايليزابيت حاملة مصباحا كبيرا تضعه على المائدة ... وتتجه الى ستارة النـافذة فترفعها ناظرة الى الحديقة)

ايليزابيت : (من النافذة) من هناك .. اهـو انت يا جيوفاني .. (تنتظر لحظة ثـم تصرخ) جيوفاني

صوت جيوفاني : (بمرح) هل رأيته ؟

ايليزابيت : كلا .. من هو ؟

صوت جيوفاني : هناك بين الاشجار عـلى الرابية

ايليزابيت : نعم .. اني اراه .. اتتغزل بالقمر الان ؟؟!

صوت جيوفاني : اريد ان اتأكد من صحة قوله

ايليزابيت : قول من ؟

صوت جيوفاني : قول من لن يراه ابدا

ايليزابيت : آه .. اتعنيه بذلك

صوت جيوفاني : كان يقف مثلك على هـذه النافذة

ايليزابيت : لا يخفني .. فانا اكاد اموت

صوت جيوفاني : كان ذلك في اليوم الثاني بعد عودته

ايليزابيت : احدثك عن القمر .. ماذا قال لك؟

صوت جيوفاني : انه يضل كلما ارتفع

ايليزابيت : القمر

صوت جيوفاني : لقد قال لي ايضا (انك تنظر الى الارض .. فترى نوره على الرابية وعلى الاشجار .. ولكن اذا رفعت راسك كي ترى مصدر النور .. تجد انه يزداد بعدا في السماء كلما ازداد نورا)

ايليزابيت : يزداد بعدا .. لماذا ؟

صوت جيوفاني : الليل يظل ليلا بالنسبـة

لنا . ولكن القمر لا يرى الليل .. فهو تائه في نوره ... ترى بماذا كان يفكر وهو ينظر الى القمر ؟ اني اسمع صدى حوافر العربة

ايليزابيت : اسرع وافتح البوابة

(تغلق اليزابيت النافذة وتخرج .. تدخل بعد لحظات دونا آنا بمصاحبة لوسيا موبيل .. تشعر ان حوارهما في الطريق لم يتجاوز المدى الذي وصفته آنا الى شقيقتها قبل قليل ... يشع من السيدة الشابة قلق واضطراب واضحان)

دونا آنا : (قائدة اياها) هذا هو جناحه .. اذا فتحت هذا الباب تعرفت عليه حالا ... فصورتك في كل مكان محاطة بالزهور التي قطفها البارحة

لوسيا : (هازئة) احاط صوري بالزهور ثم فر تاركا اياي ؟

دونا آنا : الا زلت تكيلين اللوم له .. لو علمت مدى القوة التي جعلته يتغيب

لوسيا : لقد وصلت بعد جهد جهيد فلم اجده .. اتقولين ان غيابه كان بسببي ؟

دونا آنا : رغما عنه

لوسيا : زيادة في الحيطة . اني اجد ان الافراط في الحيطة نوع من انواع اللوم . بل انه يصل الى درجة الاهانة بالنسبة لي

دونا آنا : (متألمة) لا ... لا

لوسيا : اهانة قاسية تجعلني اعتقد انه يحذر لنفسه لا لي

دونا آنا : لا .. بل لك .. لك انت

لوسيا : اني لم امت بعد .. اني هنا

دونا آنا : ميتة ؟؟ ماذا تقولين ؟؟

لوسيا : كيف يهرب بنفسه اذن عند وصولي تاركا الورود تحيط بصوري .. ما يعني هذا ؟ ان حبه لي يشبه حبه لامراة ميتة . وانا التي تركت كل ما يصلني بحياتي لالحق به .. ان ما فعله لا غفران له (تضع وجهها بين يديها مرتجفة غضبا وخجلا)

دونا آنا (زائغة النظرات كانها تحدث نفسها) لم يكن يتصرف هكذا . ومن المؤكد انه لم يكن يقوم بذلك

لوسيا : (تستدير فجأة) اهناك سبب خاص لتصرفه ؟

دونا آنا : (همسا) نعم (تبتسم ابتسامة ضعيفة)

لوسيا : اي سبب ؟ اريد ان اعرف

دونا آنا : اتسمحين لي بمناداتك باسمك ؟

لوسيا : نعم ادعيني لوسيا اكن شاكرة لك

دونا آنا : وان تسمحي لي بان اؤكد لك انه لم يقصد اهانتك .. وانه كان مضطرا للتغيب

لوسيا : اخبريني لماذا .. ولاي سبب ؟

دونا آنا : ساخبرك بذلك ولكن ثقي من شيء واحد هو انه اذا عهد بك الي فهذا يعني انه لا يقصد اهانتك ..

لوسيا : حاولي ان تفهميني .. فانا اعلم ..

دونا آنا : انه قد اعترف لي بكل شيء عن حبكما

لوسيا : (متماسكة) كل شيء ...

دونا آنا : يمكنه ان يخبرني بذلك .. لان ..

(ترتجف لوسيا تاثرا هازة رأسها ان لا واضعة يديها من جديد على وجهها)

دونا آنا : (تنظر اليها مضطربة) لا ..

لوسيا : (على حافة البكاء) لا ... لا

دونا آنا : كيف لا .. اذن انت ...

لوسيا : اغفري لي . اغفري لي ارجوك وكوني اما لي ايضا .. لهذا السبب اتيت

دونا آنا : ولكنه ..

لوسيا : لهذا السبب ايضا اضطررنا ان نفارق بعضنا

دونا آنا : لقد أجبرته على الرحيل

لوسيا : انا .. نعم عقب علمي .. بعد سنوات طويلة من حب كبير .. سقطنا في شرك الخيانة

دونا آنا : لهذا السبب اذن ..

لوسيا : كنت خارجة عن وعيي فاجبرته على الرحيل .. لم اجسر على النظر الى وجوه اطفالي . شعرت يعبث كل ما يحيط بي واحسست بالموت في عماقي ... افهمت السبب الان ؟؟ اني انتظر طفلا منه (تخفي وجهها في راحتيها)

دونا آنا : منه ؟

لوسيا : ولهذا اتيت

دونا آنا : منه . منه ؟!

لوسيا : انه لا يعلم بالامر بعد .. ولكن عليه ان يعلم ... اخبريني اين ذهب ؟

دونا آنا : اي ولدي .. اذن فهو يحيا في اعماقك .. وهو قد ترك لك قبل ان يذهب جزءا من حياته

لوسيا : نعم .. نعم وعليه ان يعلم ذلك .. اخبريني اين هو

دونا آنا : كيف يمكنني ان اخبرك الان ... رباه كيف ساخبرها ؟

لوسيا : الا تعرفين مقره ؟

دونا آنا : لقد رحل

لوسيا : الم يخبرك بوجهته ؟؟

دونا آنا : لم يخبرني

لوسيا : فهمت . لقد اعتقد ان لحاقي به كان لاجل .. (تتوقف وقد هزها الغضب) ليس له الحق بمثل هذا الاعتقاد ... ان خطيئتي بدرجة خطيئة .. ولقد ارادها كما اردتها واذا دفعته الى الرحيل مباشرة بعدها فلا يعني هذا اني سالحق به لاجل ذلك .. لا يمكنني بعد الان التخلي عنه . ولا يمكنني العودة الى هناك بالحال التي انا عليها .

دونا آنا : انت على حق

لوسيا : الا يمكنك اخباري حقا بمقره ؟ ما هي الطريقة للاتصال به ؟

دونا آنا : انتظري انتظري .. سنعلمه

لوسيا : وكيف ذلك وانت تجهلين مقره ؟؟ لا يمكنه السفر بعيدا دون انذارك او انذاري

دونا آنا : انه ليس بعيدا .. لا يمكنه ان يكون بعيدا

لوسيا : اهو خائف اذن ؟ لذا لم يخبرك باتجاهه .. ام انك انت التي اشرت عليه بالسفر ؟

دونا آنا : لم اكن على علم بشيء

لوسيا : (تنظر الى عينيها) اصبحت حذرة . كان علي ان اكتب له النبأ . ولكني لم اشأ تبذير قوتي التي اود اقناعه بها على قبول المصير الذي شئته ـ بكلمات سهلة لا شك انه حكم حكما سريعا على قراري الهرب

دونا آنا (محاولة تهدئتها) نعم ... هذا ما فعل

لوسيا : وهرب تاركا اياي معك عساك تعيدينني الى صوابي . آه لقد فهمت ولكن الن يعود قليلا ؟ الن يكتب ؟! الن يعلمك بمقره ؟!

دونا آنا : بلا شك . بلا شك . اهدئي واجلسي الى جانبي ودعيني ادعوك بابنتي

لوسيا : نعم ... نعم

دونا آنا : لوسيا

لوسيا : نعم يا امي اني اشعر كم كان سعيدا للقائي اياك قبل رؤيتي له

دونا آنا : اي ولدي .. انت رائعة الحسن عيناك .. شفتاك .. رائحة شعرك .. عطر جسدك .. اني افهم .. افهمه الان. كان عليه ان يجعلك ملكه قبل الان بزمن بعيد .. كان عليه ان يهبني هذا الفرح الاكبر بان يهبك طفلا منه

لوسيا : وان يتجنب كل الخطايا التي ارتكبناها

دونا آنا : لا تفكري بذلك . هؤلاء الذين لم يرتكبوا خطيئة بعد ... من يعلم مقدار الاسى الذي سببوه للاخرين والذي لا يمكن لسواهم الاستفادة منه

لوسيا : لقد شطرت حياتي الى قسمين

دونا آنا : ولكنك تحملين حياة كاملة احشائك

لوسيا : اولادي الاخرون ؟ لقد تركت حياتي الماضية فى سبيل حياة جديدة لا زالت مجهولة ورغم ذلكاصبحت كل مستقبلي. لقد تطور حبي فجأة فاصبح ما كان لزاما عليه الا يكونه

دونا آنا : لقد تطور فاصبح حياة

لوسيا : لا يمكنك تصور مقدار عذابي . فالسرير الذي يجد ابسط الناس فيه اداة للراحة كان مصدرا لعذابي . كم اقسمت عبثا ؟! اتعرفين شدة عذاب الكي بالنار ... كنت اشد اسناني مدافعة عن جسدي الذي اشعر بهربه مني .. وبتركه اياي وفى كل مرة اتخلص من هذا الكابوس الذي اضطررت فيه الى الكفر والالحاد بكل قيمة ، كنت اشعر اني اصبحت له باجمعي . نقية بعد هذا العذاب .. كان علينا ان لا نضعف بعد ذلك فقسمي لا جدوى منه اذا لم نكن ابرياء .. اما اولادي الاخرون فيجب ان اخبرك عنهم فانت ام بدورك ويمكنك انتفهمي ما اعني

دونا انا : تكلمي ... تكلمي

لوسيا : ان اطفالي الاخرين لم يكونوا بنتيجة حبنا فهم قطعة من جسد الرجل الاخر ولكن قلبي الذي يهبهم الحب والعطف كان عامرا بحب الرجل الذي اهوى لذا اصبحوا جزءا منه ايضا . ان الحب وحدة لا تتجزأ . ولكني الان عاجزة عن ان اكون لرجلين بآن واحد.هذا مستحيل وافضل ان اقتل نفسي على ان افعله

دونا آنا : ان المسألة لا تتعلق بك وحدك ... فانت لا يمكنك ان تهبي زوجك الطفل الذي ستلدين ... انه طفلكما انتما ... ولا يمكنك وهبه لاحد

لوسيا : اانا محقة اذن ؟

دونا آنا : الا يحق ذلك .. ولهذا فاني اسألك؟

لوسيا : تسألينني ؟

دونا آنا : اذا فكرت بواجبك تجاه هذا الطفل الجديد ؟

لوسيا : لقد ضغطت على نفسي خلال العامين اللذين عشتهما مع زوجي ضغطا لا انسانيا .. ولكن اطفالي اتوا للوجود رغم كل الضغط

دونا آنا : ماذا تقصدين بذلك ؟.

لوسيا : اني لا افهمهم .. فهم لا زالوا ابرياء ... ولكني اتهم ذلك الرجل . انني احس تجاهه بكراهية عميقة وغامضة لا يمكنني شرحها ... لقد اجبرني ان اكون اما رغم ارادتي ... انهم جزء من رجل يكاد يكون غريبا بالنسبة لي ... كم تألمت بجسدي المهان وروحي الممزقة دون ان يشعر باي صدى لالمي

دونا آنا : اني لا اعرفه لذا يمكنني ان احكم عليه

لوسيا : انه جعلني اما لاني زوجته وكي يجد الحرية بخداعي مع كثير من الاخريات . انه شهواني حقير لا يهمه فى الدنيا الا نفسه ينظر الى الحياة كمادة للسخرية وللنساء كاداة لشهوته ... وللرجال كوسيلة للخداع .. لقد قاومت وعشت معه لان حبي كان خير مشجع لي ولان هذا الحب كان النسمة الوحيدة الظاهرة فى عالم متآكل ، آه .. كان علينا ان نحتفظ بنقائنا . اني اقسم لك الف مرة ان علاقتنا الجسدية لم تثر اية بهجة والدليل على ذلك هو امومتي الجديدة ..اي شناعة اقول !

دونا آنا : ماذا تقولين ؟

لوسيا : اتيت الى هنا كي يقنعني بخطأ معتقداتي لقد فعلت ما بوسعي منذ ثلاثة اعوام كي اتقي الحمل. كنت اظن اني احمل بشيرا لسعادة لا مثيل لها ولم اكن راغبة بسوى هذه السعادة

دونا آنا : عليك بالشعور بهذه السعادة فى قلبك ... فاذا لم تشعري بها أتظنين انه قدير على وهبك اياها .

لوسيا : هو قدير على كل شيء

دونا آنا : نعم .. هو كما ترينه من خلال عواطفك .. هذه هي الطريقة الوحيدة . انه واحد لا يتغير . عليك الا تبحثي عنه الا فى اعماقك

لوسيا : فى هذه اللحظة انا تائهة ولا يمكنني النظر فى اعماقي . وهذه المفاجأة الاخيرة بان آتي فلا اجده قضت على كل ما بقي من قواي. اني بحاجة اليه ، الى رؤيته والحديث معه والاستماع الى صوته. اين هو ؟. واين يمكن ان يكون ؟ وكيف سنهتدي الى مقره ؟. لن استريح لحظة واحدة ما لم اعرف . انه ليس من المعقول ان تكوني جاهلة كل الجهل بامكانية مقره .

دونا آنا : اني لا اعرف يا ولدي . ولكن عليك ان تستريحي قليلا الان

لوسيا : لا يمكنني ذلك

دونا آنا : انت ترتجفين ، لا شك انك متعبة بعد رحلة طويلة كهذه

لوسيا : ان راسي فارغ واذناي لا تسمعان شيئا

دونا آنا : أرأيت ؟؟

لوسيا : اني خائفة

دونا آنا : عليك بالراحة ..

لوسيا : الا اجده هنا ، هذا يبعث بي الحمى

دونا آنا : انت بحاجة للراحة . سنتحدث بذلك غدا صباحا

لوسيا : ساجن خلال الليل

دونا آنا : لا .. ساعلمك كيف تتجنبين الجنون ... ساعلمك كيف تتصرفين عندما يبعد عنك من تحبين .. سأعلمك كيف تصرفت عندما تركني سنوات طويلة ليبقى الى قربك. لم يكن الى جانبي بل كان فى قلبي. افعلي مثلي فتقضي الليلة براحة . احلمي انه لا زال بالمنزل وانه ينام فى هذه الغرفة القريبة

لوسيا : اهذه غرفته ؟

دونا آنا : نعم . احلمي ايضا انه يكتب لك رسالة على هذا المكتب .

لوسيا : ان ما كتبه لي كان قاسيا

دونا آنا : حتى البارحة كان يجلس على هذه الاريكة محدثا اياي عنك

لوسيا : ولكنه رحل اليوم رغم ذلك .

دونا آنا : لم يكن على علم .. كم من الاشياء اوصاني باخبارك اياها دون ان ازعجك او اؤلمك لان هذا فى صالحك

لوسيا : الوضع مختلف الآن

دونا آنا : طبعا الوضع عظيم الاختلاف .

لوسيا : وهل سيعود ؟

دونا انا : نعم سيعود، كوني مطمئنة ولكن اصعدي الان معي . فلقد هيئت لك حجره فى الطابق الاول

لوسيا : اريد ان ارى حجرته اولا

دونا آنا : ادخلي

لوسيا : الا يمكنني النوم فيها هذه الليلة ؟

دونا آنا : في غرفته ؟ !. اهذه هي رغبتك ؟

لوسيا : انه معي .. لذا يمكنني ذلك

دونا آنا : ارايت انك تشعرين بما وصفته لك . نامي اذن فى هذه الغرفة ما دامت هذه رغبتك .

لوسيا : (تدخل الحجرة) ربما كان ذلك خيرا لي .. اشد قربا منه

دونا انا : : اشد قربا فى قلبك ، فى قلبك فقط
(تتبعها الى الغرفة .. تبقى الغرفة خالية بينما تصل اصواتهن المرحة الى القاعة بما فيها ضحكة لوسيا الطويلة بينما تخرج الدونا آنا تتبعها لوسيا حتى عتبة الباب)
لوسيا (بسعادة ظاهرة) نعم .. فى ضياء القمر الجميل
دونا آنا : طابت ليلتك يا بنيتي .. والى اللقاء غـــدا
لوسيا (تقفل الباب) طابت ليلتك
دونا آنا : (تقف لحظة جامدة تبدو على وجهها علائم فرح الهي .. ثم تصرخ من احشائها)
انه حي ....
ستار

الفصل الثالث

الغرفة نفسها فى الصباح الباكر
(يدخل جيوفاني البستاني الشيخ تتبعه السيدة فرنشيسكا نورتي التي تظهر عليه ملامح العذاب والرعب والقلق)
جيوفاني : تفضلي يا سيدتي
فرنشسكا كيف امكنها ان تنام
جيوفاني : انه تعب الرحلة. علىكل حال الساعة لم تبلغ بعد السابعة
فرنشسكا : : واين قضت ليلتها ، هل تعرف ؟
جيوفاني : لقد هيأت لها ايليزابيت غرفة فى الطابق الاعلى
فرنشسكا : ايمكنك ان تقودني اليها ؟
جيوفاني : ساخبر ايليزابيت . ولا شك ايضا ان السيدة آنا قد استيقظت فاني لمحتها قبل قليل تفتح نافذتها
فرنشسكا : اهذا ممكن ان تكون جاهـــلة موته حتى الان .. هل وصلت البارحة مساء
جيوفاني : البارحة مساء ذهبت سيدتـــي لاستقبالها فى المحطة
فرنشسكا : ارايتها بام عينك . هل كانت تبكي؟
جيوفاني : لا اظن ذلك
فرنشسكا : ربما اخفت الحقيقة عنها كـــي يمكنها النوم ليلة البارحة
جيوفاني : ربما كان ذلك . انظري الـى هذه الورود ، لقد حملتها بنفسي الى السيدة
● البارحة . كما ان السيدة لا ترتـدي السواد وكان احدا ما لم يمت فى هذهالدار
فرنشيسكا : الهذا السبب لم نعلم احدا بالوفاة؟ انه توفي قبل عشرة ايام اليس كذلك ؟
جيوفاني : نعم اننا فى اليوم العاشر
فرنشيسكا : اعلموني بذلك فى المحطة عندما سألت عن عنوانه
جيوفاني : هكذا الحياة يا سيدتي
(تدخل آنا مسرعة)
دونا آنا : اخفض صوتك يا جيوفاني .. ارجوك .. اانت والدتها ؟
فرنشيسكا : يمكنك تصور الحالة التي انا عليها يا سيدتي .. كنت كالمجنونة طـــوال الرحلة . اهي لا تزال تجهل موته ؟
دونا آنا : اخفضي صوتك . نعم انها لا تعلم
فرنشيسكا : خذيني اليها، ساوقظها واخبرها بكل شيء .
دونا انا : لا. اتوسل اليك يا سيدتي
فرنشيسكا : لكن كيف امكنك كتم النبأ عـن الجميع وعني لقد كان بامكاني منعها عن ارتكاب هربها
دونا آنا : انها لم تهرب بسببه
فرنشيسكا : ماذا تقولين ؟
دونا آنا : سافسر ذلك لك
فرنشيسكا : اريد رؤية ابنتي بالحال
دونا انا : لا افهم معنى لمخاوفك وقلقك بعـد ان عرفت كل شيء
فرنشيسكا : اني اخشى النتائج
دونا آنا : اهدئي قليلا ودعيني ابسط لـــك الامور
فرنشيسكا : لن اهدأ قبل ان اعيدها الى دارها لقد اسرعت بالقدوم حال وصول بطاقتها التي تترك لي فيها امر ولديها . اتدرين انها ام لولدين ؟؟ كم اتمنى لو كنت ميتة دون ان احيا مثل هذه اللحظة
دونا آنا : اخفضي صوتك واتبعيني . انها تنام فى الغرفة الملاصقة
فرنشيسكا : اهـــي تنام هنا ، ساذهب اليهـا (تتجه نحو الباب)
دونا انا : (تقف فى طريقها) لا يا ســـيدتـي فانت لا تدركين الالم الذي ستسببينه لها (تتحدث بلهجة خطيرة تجعل الدونـــا فرنشيسكا مسمرة فى مكانها)
فرنشيسكا : لماذا ؟
دونا آنا (بحدة) لانك تجهلين امرا اعلمه ، ان القضية اخطر مما تتصورين
فرنشيسكا : اخطر من الان (تنظر اليها برعب)
دونا انا : لقد اعترفت لي بنفسها البارحة
فرنشيسكا : انها كانت عشيقته ؟
دونا انا : نعم وهو ليس ميتا تماما كما تتصورين
فرنشيسكا : (مصعوقة) ماذا تقصدين ؟
دونا آنا : انه يحيا فى احشائها كما يحيا الحب، انه يتطور ليغدو حياة كاملة لها . افهمت الان ؟؟... انها حامل
فرنشيسكا : ابنك .. الاجل ذلك .. رباه
دونا آنا : لقد وصلت بحالة من الياس صعب علي فيها اخبارها بالحقيقة ... فكذبت قائلة انه قد سافر زيادة فى الحيطة كيلا اوقعها فى الشبهات .. ولكن حتى سفره الموقت جعلها تعتقد انها ماتت
فرنشيسكا : هي؟؟
دونا انا : نعم .. ان تموت فى قلبه.. وكيف تريدينني ان اقتله لها نهائيا الان ؟
فرنشيسكا : كان عليك ان تحذريني كي امنعها من ارتكاب هذه الحماقة بعد موته بالحال
دونا آنا : اشكري السماء يا سيدتي لانهـــا جنبتني مثل هذا الندم .. كنت اخشى هذه اللحظة . لكني الان عرفت ان الهاما سماويا دفعني الى تكملة الرسالة التـــي بدأها ولدي ثم ارسالها لها
فرنشيسكا : (مستنكرة) ماذا ؟ بعد موته
دونا آنـا : بالنسبة لابنتـك كلمة (بعد) لا معنى لها .. انها الهام سماوي . كنـا جاهلتين سواء انت ام انا حالتها ... اؤكد لك انها كانت ستنتحر لو وصلهـا نبأ موته .
فرنشيسكا : ما هو غرضك . ان تربطي مصير ابنتي بجثة ..؟
دونا انا : : جثة . ان الموت الحق هو حياتها هناك مع ذلك الرجل الذي ربطتها به .. ان الجثة هي ذلك الرجل .. لقـــد حاولت ان اجعلها تدرك البارحة ..
فرنشيسكا : ان لها اولادا اخرين هناك
دونا انا : انها لم تنسهم . لقد حدثتني عنهم بلهجة ممزقة .. بلهجة تبعث الرعشـة في القلوب
فرنشيسكا : عن اطفالها ؟
دونا انا : كيف امكنها ان تجعل منهم اطفاله هو بعد ان كانوا بمثابة الغرباء لها . كيف رمت بجزء من الحب الذي تكنه لولدي. لقد كانوا بحاجة هم ايضا الى الحب الصادر عن ولدي كي تبعث حياتهم فـي قلبها . ولكنها رغم ذلك .. رمت بـهم لتلحق به الى هنا
فرنشيسكا : وعندما ستعلم انه لن يـــأتي ابدا الى هذه الدار ؟
دونا آنا : يجب ان يعود .. اذا اردتها ان تعود الى حياتها الماضية فعليك ان تجعليهـــا تؤمن بامكانية عودته . وبالطريقة التـي سيسلكها حبه لها . دعيها تكتفي بهـذا الحب فى قلبها دون ان تجد له منفـــذا خارجيا .. ان تقتصر على الحياة التـي يهبها اياها قلبها . ولكن عليك باديء الامر ان تعديها برؤيته
فرنشيسكا : رؤيته
دونا انا : ليس هنا ... سنقول لها (انه لن يعود قبل تأكده من عودتك ... ثـــم سيلحق بك كي يراك هناك) تكلمي معها بهذه الطريقة فربما توصلت الى اقناعها

بالعودة . تصوري انها هنا لاجله . انها نامت في سريره وانها ربما حلمت بـــه . وانها ستفكر فيه عند يقظتها كما تفكـر بانسان حي

فرنشيسكا : (وقد تحول رعبها الى شفقة) ان ما تقولين لجنون يا سيدتي (يفتح الباب في هذه اللحظة وتخرج منه لوسيا تنظر الى امها دهشة ثم الى الدونا آنا فتشعر ان كارثة ما قد وقعت)

لوسيا : والدتي .. ماذا حدث ؟

فرنشيسكا : (بلهجة تكشف حقيقة الحادث) اواه يا ابنتي المسكينة

لوسيا : ماذا حدث ؟! وعم كنتما تتكلمان ؟

دونا آنا : عن لا شيء .. ان والدتك قد اتت في اثرك

لوسيا : هذا ليس بصحيح .ماذا حدث يـا والدتي ؟ تكلمي (صارخة) اخبريني !

فرنشيسكا : (تتجه نحوها محاولة ضمها) اواه يا ابنتي المسكينة

لوسيا : اهو مات .. اهو مات (تبعد امهـا وتنظر الى الدونا آنا) لا. انه ميت . وانت كيف امكنك ؟. هذا ليس ممكنا . الحلم الذي تراءى لي البارحة . اخبريني .. اخبريني

فرنشيسكا : منذ ايام كثيرة يا طفلتي

لوسيا : منذ ايام .. الى (دونا انا) توفـي منذ ايام ولكن لماذا اخفيت النبأ عني ؟؟ وكيف مات ؟ افي هذا السرير الـــذي قضيت ليلتي فيه ؟ لقد جعلتني انام في سريره . نعم انها انا التي طلبت ذلـك ولكن انت ! كيف امكنك ! وهذه الاكاذيب (الزهور) (انه رجل) (هذه هي غرفته) (لا اعلم مقره) لقد حلمت به البارحـة كان بعيدا نائيا ولا يمكنه الاقتراب . اني لا زلت ارى وجهه الميت البعيد . وجهه وجهه . اواه يا رب (تنتحب) لهذاالسبب لم اجده في انتظاري ... كان ميتا . ولكني لم افهم ذلك بسببك .. كيـف امكنك ارتكاب كل هذا . لاجلي فقـط .. الم يمت بالنسبة اليك ايضا . هذا لا يصدق .. فانت تتحدثين عنه كانه ما زال حيـا

دونا آنا : (زائغة النظرات) اني اراه

لوسيا : الم يمت امام عينيك

دونا آنا : لا .. انه يموت الان

لوسيا : الان !

دونا انا : نعم . اني اشهد احتضاره في هذه اللحظة

لوسيا : ماذا تقولين ؟ (تخفي دونا آنا وجهها بيديها) كنت موقنة من انه سيمـــوت ولكني لم اشأ الاعتقاد بذلك . لقد قال لي بنفسه انه سيعود الى هنا كي يموت

دونا آنا : ولم الحظ ذلك

لوسيا : اما انا فعرفت انه يموت منذ اعوام. ان عينيه قد انطفأتا وعندماغادرني للمرة الاخيرة كان اشبه بالميت منه بالحي. كان شديد الشحوب عنيف الحزن . ففهمت في التو انه سيموت

دونا انا : نعم عيناه المطفأتان والتغيير الكبير الذي اصابه .. اني اراه الان لاجلـــك يا ابنتـــي (تجذبها نحوها) اي ابنتي اني اراه يموت على جسدك . احـــس ببرودة موته في حرارة دموعك لقد جعلتني اشهده كما اصبح بعد تغيره . اني لـم اره قبلا لذا لم يمكنني البكاء عليـــه. اني لم اره قبلا .. اما الان فـــاراه بوضوح

لوسيا : (تتخلص منها وتركض نحو امها) رباه ... ماذا تقول ؟

دونا انا : يا طفلتي .. جسدك المسكين اصبح عاريا مسكينا يكاد يكون لا شيء .. اما انا فاني الوحيدة التي لا زلت اراك كما كففت عن ان تكوني . وما لا يمكنك ان تكونيه قط بشعرك وعينيك اللتين لـــم تعودا عينيك . عيناك الان اصبحتـــا عاجزتين عن الضحك . اني لم اعـرفك باديء الامر لاني لم اتعرف على عينيك الضاحكتين . اردتك ان تحيي حياة خارج الحياة التي التهمتك يا جسد . الجسد الذي لم اعرف كيف اراه والذي لن اراه بعد الان . اين أنت (تبحث حولها) أين انت ؟؟

لوسيا : آ تركض نحوها) اني هنا يا اماه

دونا انا : انت . نعم (تقبلها بعنف) لا تذهبـي به لا تتركيني . لا تتركيني

لوسيا : لن اذهب يا اماه .. سابقى معك

فرنشيسكا : كيف ستبقين معها . ستتبعينني وستعودين معي في الحال

دونا انا : لا دعيها لي اينها السيدة انها تخصني

فرنشيسكا : لقد اصبحت مجنونة يا سيدتي

دونا آنا : لقد قاسيت الكثير مثلك، اتذكرين ؟ (بحنان كبير تكلم لوسيا) اني لا احقـد عليك فانت ابنتي

فرنشيسكا : اتريدين منها ان تهجرني لاجلك؟ ان تنبذ اطفالها (الى لوسيا) اتريدين هجر اطفالك لتعيشي مع شبح؟

دونا آنا : انها تحمل طفلا منه لا يمكنها وهبه لرجل آخر

فرنشيسكا : الا تخجلين مما تقولين ؟

لوسيا : وانت الست خجلى مما تريدين ان افعله ؟

دونا انا : (بقوة يائسة) ان والدتك على حق يا طفلتي فهي قد ادركت اني افكـــر بنفسي اضعاف ما افكر بالطفل الـــذي تنتظرين ولكني ايضا اصبحت اموت .. اصبحت عاجزة عن المقاومة .. وعندمـا ياتي الطفل الذي تحملين الى الوجـود ... في اللحظة التي تهبينه فيها الحياة ستصبحين بدورك اما حقة . وسأكـف عن كوني ما انا عليه .. ولن يعود احدا للاقاني في هذه الدار .. سينتهي كل شيء وسيكون لكطفلك كما كان لي طفـلي . بوجهه الصغير وشعره الاشقـر وعينيه الضاحكتين سيكون لك وحدك ولن يكون لي. ستكونين انت والدته. رباه اني احس بالموت يقترب مني رباه . (تنفجر باكية بحرارة لا مثيل لها ولكنها تتمالك نفسها وتعود الى توازنها فجأة) كفاني كفاني لا اريد ان ابكي على نفسي (تنهض وتقترب من لوسيا) اذهبي يا طفلتي .. اذهبي نحو الحياة . احرق نفسك ايها الجسد المسكين المشتعل . هذا هـــو الموت لنكف عن التفكير به ولنعد الـى والدتك التي لا بد ان التعب قد اضناها.

فرنشيسكا : لا . اريد الرحيل بالحال

دونا آنا : بالحال ؟ هذا مستحيل . عليـك ان تنتظري القطار وهو لا يمر الا في نهاية النهار . سترتاحين قليلا حتى موعد (الى لوسيا) اما انت يا ابنتي ..

لوسيا : لن اذهب . لن اذهب . سابقى معك

فرنشيسكا : ستذهبين . انها تنصحك بنفسها على الرحيل

دونا آنا : لم يبق لك شيء ها هنا

فرنشيسكا : ان اطفالك بانتظارك .. اسرعي

لوسيا : لن اعود قط الى جانب ذلك الرجل فهذا مستحيل بالنسبة لي. لايمكنني ذلك ولا اريـده ... كيف يمكنني ان اريـده بعد الذي تم ؟

دونا انا : وانا هنا معك؟انه الموت ياطفلتي. هناك اشياء علينا ان نقوم بها شئنا ام ابينـا وكلمات علينا النطق بها . انظـري في الحال الى الدليل واحجزي مكانا للسفر فلسنا الا امواتا يتحركون . ان نعـذب انفسنا وان نعزي انفسنا وان نستريح : نعم هذا ما ادعوه بالموت ...

لويجي بيراندللو

ترجمة رفيق راتب الصبان